البحث الخامس

التاريخانية في فكر حسن حنفي
وآثارها على الدين
دراسة استقرائية نقدية

إعداد

أ.م/ محمود رشاد محمد

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

التاريخـانيـة في فكر حسن حنفي وآثارهـا على الدين
دراسة استقرائية نقدية

محمود رشاد محمد
قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
البريد الإلكتروني: MahmoudRashad.٢١١٣@azhar.edu.eg

الملخص:

يتناول البحث بالعرض والنقد فكر أهل الحداثة الذين ينظرون إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة مصدري الوحي الأساسيين على أنهما تاريخ، أو جزء من تجربة أو خبرة بشرية؛ ليس لهما صفة القداسة والإلزام؛ بل يجب أن يخضعا لعملية النقد، والتجاوز المستمر؛ فكما أن التاريخ يحكي زمنا معينا؛ فهكذا الوحي جاء لفترة تاريخية معينة لا يتجاوزها إلى فترة أخرى؛ فلا يحق له أن يهيمن، ويسيطر، ويعلّم، ويزكّي لأنه محدود بفترة تاريخية معينة لا يتعدّاها، فما يصلح للماضي لا يصلح للحاضر والمستقبل، والواقع الذي نعيشه يخضع للقواعد والقوانين التي يتواضع عليها البشر ويرونها ملائمة لهم؛ أما ا لوحي فجاء لفترة تاريخية معيّنة عليه ألاّ يتجاوزها؛ ولذا يأتي هذا البحث ليناقش فكرة التاريخانية عند أهل الحداثة متمثلين في الدكتور حسن حنفي كأنموذج يمثّل هؤلاء في نظرتهم للدين، وكنوع من الاستقراء الناقص الذي يدل على بقية فكر أهل الحداثة، ويهدف البحث إلى بيان أن الإسلام له قواعد وأصول لا يجوز تجاوزها، يحترم فيها العقل، ويضمن بها مواكبة المستجدات والمتغيرات دون إهمال لهذه القواعد؛ مما يضمن استشراف المستقبل، والحفاظ على القواعد الأصيلة، كما يهدف إلى دراسة فكر حسن حنفي بالنقد والتحليل يضمن دراسة مدرسة أهل الحداثة؛ لأن المنهج الفكري واحد مع اختلاف بسيط في بعض التفاصيل والمفردات، وأيضا بيان أن تبني فكرة التاريخانية هي محاولة لتفريغ الدين من محتواه، وجعله شكلا بلا مضمون، وتاريخا بلا تشريع ولا

أحكام، وأنه علاقة روحية شعورية بين المؤمن وربه لا تحتاج إلى شعائر، ولا عبادات، يحتكم المسلم فيها إلى العقل ثم العقل، ولا مكان فيها للغيبيات، وانتهى البحث إلى نتائج منها: التناقض البيّن في فكر أهل الحداثة، وإخراج النصوص الشرعية من سياقها الصحيح، وتحميلها مالا تحتمل، وأيضا إخراج المصطلحات عن مضمونها للتضليل والتزييف، ويوصي البحث بدراسة منهج الأزهر الشريف في بيان فكر المعتزلة، و ردود العلماء القدامى عليهم؛ حتى لا يقع أحد فيما وقعوا فيه من خطأ؛ وحتى يمكننا الرد على أهل الحداثة والتنوير، والفكر التاريخاني الذين يتخذون فكر المعتزلة أساسا لمنهجهم الفكري.

الكلمات المفتاحية: التاريخانية، حسن حنفي، آثار، الدين، استقراء، نقد.

Historicism in the thought of Hassan Hanafi"

Its effects on religion are a critical inductive study

Mahmoud Rashad Muhammad

Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Propagation, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

E-mail: MahmoudRashad.٢١١٣@azhar.edu.eg

Abstract;

This study presents and critiques the thought of modernists who view the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah, the two primary sources of revelation, as history, or as part of a human experience, They do not have the quality of sanctity and obligation; rather, they must be subject to the process of criticism and continuous transcendence. Just as history tells of a specific time, so revelation came for a specific historical period and does not go beyond it to another period. It has no right to dominate, control, teach, and purify because it is limited to a specific historical period and does not go beyond it. What is suitable for the past is not suitable for the present and the future, The reality in which we live is subject to the rules and laws that humans agree upon and see as appropriate for them. As for revelation, it came for a specific historical period and should not be exceeded. Therefore, this research comes to discuss the idea of historicism among the people of modernity, represented by Dr. Hassan Hanafi as a model that represents them in their view of religion, and as a kind of incomplete induction that indicates the rest of the thought of the people of modernity, The research aims to demonstrate that Islam has rules and principles that may not be exceeded, in which reason is respected, and through which it ensures keeping pace with developments and changes without neglecting these rules; which ensures anticipating the future and preserving the authentic rules. It also aims to study the thought of

Hassan Hanafi with criticism and analysis, ensuring the study of the school of modernists; because the intellectual method is one with a slight difference in some details and vocabulary, It is also a statement that adopting the idea of historicism is an attempt to empty religion of its content, and make it a form without substance, and a history without legislation or rulings, and that it is a spiritual, emotional relationship between the believer and his Lord that does not require rituals or worship, in which the Muslim resorts to reason and then reason, and there is no place in it for the unseen. The research concluded with results including: the clear contradiction in the thought of the people of modernity, and taking the religious texts out of their correct context, and burdening them with what they cannot bear, The study also recommends studying Al-Azhar's approach to explaining Mu'tazilite thought and the responses of ancient scholars to them, so that no one can fall into the same errors they made. This is also so that we can respond to the modernists, enlighteners, and historicists who adopt Mu'tazilite thought as the basis for their intellectual approach.

Keywords: Historicism, Hassan Hanafi, Antiquities, Religion, Extrapolation, Criticism.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ ثم أما بعد....

فهذا البحث يتناول بالعرض والنقد فكرة التاريخانية عند الدكتور حسن حنفي الذي يمثّل رأسا من رؤوس أهل الحداثة؛ الذين ينظرون إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة مصدري الوحي الأساسيين على أنهما تاريخ، أو جزء من تجربة أو خبرة بشرية؛ ليس لهما صفة القداسة والإلزام؛ بل يدعون إلى خضوعهما لعملية النقد، والتجاوز المستمر؛ فكما أن التاريخ يحكي زمنا معينا؛ فهكذا الوحي جاء لفترة تاريخية معينة لا يتجاوزها إلى فترة أخرى؛ فلا يحق له أن يهيمن، أو يسيطر، أو يعلّم، أو يزكّي؛ لأنه محدود بفترة تاريخية معينة لا يتعدّاها، فما يصلح للماضي لا يصلح للحاضر والمستقبل، وواقعنا الذي نعايشه يجب أن يخضع للقواعد والقوانين التي يتواضع عليها البشر؛ ويرونها ملائمة لهم؛ أما الوحي فجاء لفترة تاريخية معيّنة يجب ألاّ يتجاوزها.

ويأتي هذا البحث ليبيّن هذه الفكرة، ويبيّن أثرها على الدين؛ عقيدة، وشريعة، وأخلاقا؛ وينقدها نقدا متجردا؛ بعيدا عن الإسفاف والتعصب.

أهمية الموضوع:

١- بيان أن الإسلام له قواعد وأصول تحترم العقل، وتضمن مواكبة المستجدات والمتغيرات فلا يجب إهمالها، أو تجاوزها وإلاّ نكون قد ظلمنا الإنصاف في البحث العلمي.

٢- دراسة فكر حسن حنفي بالنقد والتحليل يضمن دراسة مدرسة أهل الحداثة؛ لأن المنهج الفكري واحد مع اختلاف بسيط في بعض التفاصيل والمفردات.

٣- بيان أن تبنّي فكرة التاريخانية هي محاولة لتفريغ الدين من محتواه، وجعله شكلا بلا مضمون، وتاريخا بلا تشريع ولا أحكام، ويتحول الدين إلى علاقة روحية شعورية بين المؤمن وربه لا تحتاج إلى شعائر، ولا عبادات، ولا مكان فيها للغيبيات.

٤- بيان الحكم على القائلين بأن الوحي جاء لفترة تاريخية معينة لا يتجاوزها، وأن الإيمان بذلك هو سبيل التقدم والتنوير؛ اتّباعا لأوربا في أخذها بالتاريخانية والتي أنقذتها من قرونها المظلمة؛ وهى المنقذ لنا كذلك من الجهل والتخلف، فلا يصلح حالنا إلا بما صلح به الغرب؛ ويأتي البحث ليبيّن الفروق الجوهرية الموجودة بيننا وبين أوربا؛ والتي يصعب معها تطبيق المنهج الغربي دون تدقيق أو تمحيص.

أسباب اختيار الموضوع:

١- كشف القناع عن فكر حسن حنفي بما يحويه من موضوعات وتفصيلات هو كشف لحقيقة تيار ثقافي يزعم الحداثة، والتنوير؛ مع حربه الضروس لحقائق الإسلام؛ والنظر إليها على أنها مرحلة تاريخية منقضية لا تصلح للواقع أو المستقبل.

٢- بيان تميّز مصدري الإسلام من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة بالحفظ، والصدق، والحكم على أفعال الناس، وأنهما ليسا كتابا تاريخ فقط؛ بل كتابا تشريع، وأحكام، وأخلاق، وكل ما تحتاجه الإنسانية.

٣- بيان خطورة ما يزعمه حسن حنفي من تاريخانية مصادر الإسلام الحنيف على العقائد، والتشريعات، والأخلاق، وبيان حقيقة مصادر الإسلام وملائمتها لكل زمان ومكان.

طريقة البحث:

سلكت في هذا البحث ما يلي:

١- مراعاة الحيدة العلمية في البحث؛ خاصة في الأمور التي فيها مقارنات.

٢- عزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث من مظانّها، وإذا كان الحديث في الصحيحين ذكرت رقم الحديث وبابه وكتابه، وإذا كان في غيرهما زدت عملاً آخر وهو الحكم عليه وبيان درجته، واعتمدت على تحقيق الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ للمسند.

٣- توضيح الكلمات الغامضة في الآيات أو الأحاديث أو الآثار أو النصوص.

٤- التعريف بالأعلام، ووصف البلدان والأماكن الغير مشتهرة.

إشكالية البحث:

١- تشعب المادة العلمية الخاصة بالتاريخانية عند الدكتور حسن حنفي؛ نظرا لكثرة مؤلفاته، ولقاءاته، وتشعبها وتنوعها؛ مما يستدعي المنهج الاستقرائي الناقص لحلّ هذه المعضلة.

٢- صعوبة إصدار حكم جازم على الرجل في كثير من المسائل؛ لتناقض آرائه فيها؛ مما استلزم أن يكون الحكم عليه فيها من غالب أقواله وأظهرها.

٣- عزوف الرجل في آخر حياته عن المقابلات الشخصية، واللقاءات العامة، واكتفائه ببعض المقالات، أو اللقاءات مما استلزم من الباحث الاستعاضة عن ذلك بمشاهدة لقاءاته التلفزيونية؛ والتعقيب عليها؛ خاصة وأن الرجل قد توفّاه الله.

الدراسات السابقة:

ترجع أهمية الدراسات السابقة في كونها تبرز الجديد في الدراسات العلمية؛ وتمنع التكرار فيما لا فائدة منه، وتضيف إلى المكتبة الإسلامية لبنة جديدة من لبنات البحث العلمي يستفيد بها طلاب العلم.

والدراسات التي تناولت التاريخانية سواء كانت كتبا، أم أبحاثا علمية، اختلفت عن هذه الدراسة؛ لأنها لم تتناول التاريخانية بالنقد من الوجهة الإسلامية، فضلا عن كونها لم تتناول بالعرض والتحليل لشخصية البحث الدكتور حسن حنفي، كما أنها لم تتناول آثارها في العقيدة، والشريعة، والأخلاق تناولا شرعيا دعويا مما يجعل هذا البحث يختلف عن الدراسات السابقة كثيرا، **وأهم الدراسات السابقة هي:**

١- دراسة: **التاريخانية الجديدة وأثرها في قراءة النص الديني**- فارس بن سلين - شبكة المعلومات الدولية- تاريخ الزيارة: ٢٠٢٥/٦/٢٣م

وصف الدراسة: الدراسة عبارة عن كتاب يقع في ثماني وعشرين صفحة من القطع المتوسط، يشتمل على عدة نقاط رئيسة وهي: الحديث عن الأسس المعرفية والمنهجية

للتاريخانية، وآثار القراءة التاريخية للنص الديني (القرآن والسنة).

الفرق بين الدراستين: هذه الدراسة تختلف عن الدراسة التي بين أيدينا في كونها لم تركّز على فكر حسن حنفي كأنموذج لأهل الحداثة ودوره في تكريس مفهوم التاريخانية، فضلا عن كونها لم توضح آثار التاريخانية في العقيدة، والشريعة، والأخلاق، ولم تتناول المؤثرات التي تأثر بها أهل الحداثة في موضوع التاريخانية؛ وعلى رأسهم حسن حنفي بالشرح، والتحليل، والتقعيد؛ مما يجعل دراستنا تختلف عن هذه الدراسة اختلافا ظاهرا.

٢- دراسة: **(التاريخانية)** لفريدريك بيرز- ترجمة عمرو بسيوني - مركز نهوض للدراسة والنشر-٢٠١٩م

وصف الدراسة: تقع الدراسة في ثلاث وثلاثين صفحة تقريبا من القطع المتوسط، وتدور حول المعنى الأساسي للتاريخ كعلم، وأهميته الفلسفية، وأهم الصراعات الفكرية التي رافقت تشكل فلسفة التاريخانية.

وابتدأت الدراسة بترجمة لفردريك بيرز ترجمة تبيّنه كأحد الباحثين النابهين في مجال الدراسات الفكرية، والأدبية.

الفرق بين الدراستين: هذه الدراسة تختلف عن الدراسة التي بين أيدينا في كونها لم تتناول آثار التاريخانية في الإسلام؛ عقيدة، وشريعة، وأخلاقا، كما أنها لم تتناول شخصية حسن حنفي الأنموذج الذي تمت دراسته في هذا البحث، ولم تقم ببيان دوره في التاريخانية، ولم تقم بمناقشة فكره كأحد أعمدة أهل الحداثة.

٣- كتاب: إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي العربي المعاصر- مرزوق العمري- المركز العربي للدراسات الإنسانية- بدون.

وصف الدراسة: الدراسة عبارة عن كتاب يقع في خمس وستين ومئة صفحة من القطع المتوسط، يشتمل على عدة نقاط رئيسة وهي: نسبية القوانين الاجتماعية، والحكم بوضعيتها، وتناول الكتاب أثر العلمانية في قراءة النص ودورها في اتساع الهوّة بين

الفهم الحقيقي للنص، وبين ما يدّعونه من أن النص لا يصلح إلا لمرحلة تاريخية معينة.

الفرق بين الدراستين: هذه الدراسة تختلف عن الدراسة التي بين أيدينا في كونها لم تركّز على فكر حسن حنفي، ودوره في تكريس مفهوم التاريخانية؛ كشخصية البحث الذي تدور الدراسة حوله، فضلا عن كونها لم تتناول آثار التاريخانية في العقيدة، والشريعة، والأخلاق، بصورة يحتاجها الدعاة كما في هذا البحث.

٤- كتاب: العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النصّ- أحمد إدريس الطعّان- دار ابن حزم ٢٠٠٧م

وصف الدراسة: الدراسة عبارة عن كتاب يقع في سبع وثمانين و ثماني مئة صفحة من القطع المتوسط، تدور حول على الحديث عن الفلسفة؛ واتخاذ كتّابها المعاصرين العبارات الصعبة التي لا يفهمها كثير من الناس مثل مصطلحات التاريخانية، والزمكانية...، للتعمية عما يراد منها، كما تناولت الدراسة دور العلمانية في القرون المظلمة في تهميش الدين، وقصره على بعض الشعائر دون أن يكون له أثر في واقع الحياة، كما تناولت الدراسة بعض الموضوعات التي تتناول الفلسفة في العصر الحديث.

الفرق بين الدراستين: هذه الدراسة تختلف عن الدراسة التي بين أيدينا في كونها لم تركّز على فكر التاريخانية عند حسن حنفي، ولم تبرز فكره في العقيدة، والشريعة، والأخلاق، كما أنها لم تتناول المصدر التي استقى منها حنفي فكره؛ مما يجعلها تختلف عن دراستنا.

منهج البحث: استخدمت في هذا البحث منهج الاستقراء الناقص لمعرفة آراء الدكتور حسن حنفي في التاريخانية، ثم القيام بنقدها نقدا علميا يميّز الخير فيها من الشر، والغثّ من السمين عن طريق المنهج النقدي؛ وهذا يستلزم انتهاج البحث منهجين؛ المنهج النقدي، والمنهج الاستقرائي الناقص؛ وفيما يلي التعريف بالمنهجين:

١- المنهج النقدي:

أولا: تعريف (النقد) في اللغة: يأتي النقد بمعان عدة؛ منها: (النَّقْدُ والتَّنْقادُ تمييزُ

الدراهِم وإخراجُ الزَّيْفِ منها...، النقْدُ تمييز الدراهِم وإعطاؤكَها إنساناً وأَخْذُها...، ونقَدْتُ الدراهم وانتَقَدْتُها إذا أَخْرَجْتَ منها الزَّيْفَ...، وناقدْتُ فلاناً إذا ناقشته في الأَمر...، والنَّقَدُ السُّفَّلُ من الناس)[١]

(ويقال نقد النثر ونقد الشعر أظهر ما فيهما من عيب أو حسن (ناقده) ناقشه في الأمر (النقد) فن تمييز جيد الكلام من رديئه، وصحيحه من فاسده)[٢]

يتبين مما سبق أن النقد في اللغة يعني تمييز الجيد من الرديء، والصحيح من الفاسد؛ وهذا يعني قراءة فكر حسن حنفي ثم الحكم عليه بتمييز الجيد من الرديء، والصحيح من الفاسد.

ثانيا: تعريف النقد في الاصطلاح:

جاء في معجم المصطلحات العربية تعريف النقد بأنه: (فن تقويم الأعمال الفنية والأدبية، وتحليلها تحليلا قائما على أساس علمي)، **وأنه: (**الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصدرها، وصحة نصّها، وإنشاؤها، وصفاتها، وتاريخها)[٣]

وهذا يعني اتفاق تعريف النَّقْد في اللغة مع تعريفه في الاصطلاح حيث يعني: تمييز الجيد من الرديء، والصحيح من الفاسد كتمييز الدراهم وإخراج الزائف منها، وهذا ما يجب أن يكون العمل عليه في دراسة التاريخانية في فكر حسن حنفي، حيث يتم مناقشة فكره بحيدة علمية، وأمانة في النقل، وبيان قربه أو بعده عن صحيح الدين.

---

(١) لسان العرب لابن منظور– تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، مادة (نقد)جـ٦ صـ٤٥١٧– دار المعارف– القاهرة بدون.

(٢) المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار– تحقيق: مجمع اللغة العربية – باب النون (مادة نقد) جـ٢ صـ٩٤٤– دار الدعوة بدون.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب– مجدي وهبة و كامل المهندس مادة (النقد)– صـ٤١٧– مكتبة لبنان ط٢، ١٩٨٤م

٢- المنهج الاستقرائي الناقص:

من الملاحظ أن الموضوع يتفرع في كتب عدة لحسن حنفي؛ مما استلزم من الباحث استخدام المنهج الاستقرائي الناقص لاستنباط أصول فكره، والحكم عليها،

والمنهج الاستقرائي الناقص يعنى: (استنتاج قضية عامة من قضية جزئية، واستخلاص نتائج من شيء نعرفه معرفة يقينية تلزم عنه)[١].

وهذا يعني وجوب القراءة العلمية الرصينة لمؤلفاته المتاحة، واستنباط الأفكار الرئيسة، والتدليل عليها من كلامه ثم الحكم عليها؛ وبذلك ندلّل بالجزء والبعض على الكلّ الذي لا يخرج الجزء عن مفهومه ومعناه.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة:

أمَّا المقدمة: فبينت فيها عناصر المقدمة العلمية.

وأما التمهيد: فعرفت فيه عنوان البحث تعريفا يحدد المراد منه.

وأما الفصل الأول فجاء بعنوان: عرض وتحليل التاريخانية عند حسن حنفي

وتكون من مبحثين:

المبحث الأول: منابع وروافد "التاريخانية" عند حسن حنفي

المبحث الثاني: آثار القول "بالتاريخانية" عند حسن حنفي

وتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: زعمه بأن النصّ جاء لمرحلة زمنية معينة لا يتجاوزها

المطلب الثاني: زعمه بأن الوحي تابع للواقع فما يصلح للماضي لا يصلح للحاضر

(١) مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام- ا. د/حلمي صابر ص٤٣، ٤٤- ايجيبت للطباعة ط٢ ٢٠٠م

المطلب الثالث: إنكار خيرية القرون الأولى لانقضاء تاريخها:

المطلب الرابع: زعمه بأن اجتهاد الأئمة الأربعة – **رضي الله عنهم**– جاء لفترة تاريخية معينة لا يجب تجاوزه

وأما الفصل الثاني فجاء بعنوان: نقد التاريخانية عند حسن حنفي وبيان خطرها على الدين

وتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول: نقد "التاريخانية" في العقـيدة

المبحث الثاني: نقد "التاريخانية" في الشريعة

المبحث الثالث: نقد "التاريخانية" في الأخلاق

وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

وأما المصادر والمراجع: فقمت بترتيبها ترتيبا أبجديا.

ولله الفضل والمنة، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهـيد
التعريف بعنوان البحث

يتطلب البحث العلمي التعريف بمفردات عنوان البحث لتحديد المراد منه تحديدا دقيقا، وعنوان هذا البحث ينتظم عندما نعرّف بكلمتي التاريخانية، وفكر، ونعرّف بالدكتور "حسن حنفي" شخصية البحث.

أولا: التعريف بـ (التاريخـانية)

١-التعريف في اللغة:

مصطلح "التاريخانية" مشتق من مادة "أرخ"، وهذه المادة يقول عنها ابن منظور في لسانه: " (أرخ) التَّأْريخُ تعريف الوقت، والتَّوْريخُ مثله؛ أَرَّخَ الكتابَ ليوم كذا وَقَّته، والواو فيه لغة وزعم يعقوب أَن الواو بدل من الهمزة، وقيل إِن التأْريخ الذي يُؤَرِّخُه الناس ليس بعربي محض وإِن المسلمين أَخذوه عن أَهل الكتاب، وتأْريخ المسلمين أُرِّخَ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ﷺ؛ كُتِبَ في خلافة عمر ﷺ فصار تاريخاً إلى اليوم ابن بُزُرْج آرَخْتُ الكتابَ فهو مُؤَارخ وفَعَلْتُ منه أَرَخْتُ أَرْخاً وأَنا آرِخٌ الليث"(١)

فالمعنى اللغوي للتأريخ يفيد التوقيت بزمن معروف ومحدد، فالكاتب قد يؤرخ كتابه في وقت محدد؛ لإفادة توقّيته في ذلك الوقت توقتيا محددا.

وعلى هذا؛ فمصطلح التاريخانية يفيد قصر الإسلام على فترة زمنية محددة لا يتعدّاها ولا يتجاوزها.

٢-"التاريخانية" في الاصطلاح

"التاريخانية" في الاصطلاح تعني: (تفسير الأشياء في ضوء تصورها التاريخي، أي

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- مادة (أرخ) جـ٣ صـ٤- دار صادر – بيروت- الطبعة الأولى بدون

أننا لا نستطيع أن نحكم على الأفكار، والحوادث إلا بالنسبة إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه، لا بالنسبة إلى قيمتها الذاتية لا غير؛ لأننا إذا نظرنا إليها من الناحية الذاتية فقط ربما وجدناها خاطئة أو شاذة، ولكننا إذا نسبناها إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه وجدناها طبيعية وضرورية)[١]

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يتضح أن "التاريخانية" تعني النظر إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة مصدري الوحي الأساسيين على أنهما تاريخ، أو جزء من تجربة أو خبرة بشرية؛ ليس لهما صف الإلزام بل تسهل فيهما عملية النقد والتجاوز المستمر؛ وهذا الأمر في غاية الخطورة لأنه يفرّغ الدين من محتواه، ويجعله تاريخا بشريا لا تشريع فيه، ولا قداسة، ولا إلزام؛ **ويترتب على هذا المفهوم للتاريخانية:**

١- حصر النصوص الدينية في الماضي وعدم إخراجها منه؛ لارتباطها زمانياً، واجتماعياً وثقافياً به.

٢- خضوع الدين لقواعد النقد التاريخي، والنظر العقلي؛ لاعتباره وثيقة تاريخية مثل أي وثيقة.

٣- نفى صفة القداسة عن الدين؛ لأنه يعبر عن تفاعل بشرى في مرحلة تاريخية معينة، في زمنٍ معين، ومكانٍ معين، وقوم مخصوصين.

٤- نفي صفة الفاعلية المستمرة للدين عبر الزمان والمكان؛ بزعم أن القرآن جاء ليخاطب قوماً في سياق تاريخي واجتماعي معين.

٥- تقديم التاريخ على النص؛ لأن النص لا يثبت شيئا، بينما التاريخ عليه التعويل في الإثبات والنفي.

٦- الخلط بين الوحي الإلهي المعصوم الذي يجب اتباعه والاقتداء به، وبين التجربة

---

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي-فرنسي- عربي – د/ أحمد زكي بدوي أستاذ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية- صـ١٩٦ – مكتبة لبنان- بيروت- بدون.

البشرية المحضّة التي تخلو من القداسة والعصمة

هذا هو معنى التاريخانية بصورة مبسطة وبعيدة عن المصطلحات المستخدمة لتضليل العامة؛ وبثّ حالة من الهالة العملية تخفي وراءها الرغبة في تفريغ الدين من محتواه، وجعله عملا بشريا لا قداسة فيه ولا مزيّة له.

فالتاريخ شاهد على تقدم الأمم وتخلفها، وارتباطها بالوحي وانفكاكها عنه؛ فلا يوجد في الإسلام مفهوم القرون المظلمة، ولا القرون البائدة، ولا الإنسان المتخلف الرجعي الذي يتطور بفعل المادة والحياة؛ فالإنسان هو الإنسان، والزمن هو الزمن؛ ولكن معيار الطاعة والالتزام، والفهم، والسعي الحثيث لتحقيق الخير هو الذي يتقدم أو يتراجع؛ لأن الوحي المعصوم لا يتغير ولا يتبدل؛ فلا يجوز أن نسحب المفهوم الغربي النابع من الأفكار المنحرفة؛ على مفهوم الإسلام النابع من مصدر ثابت يشمل الزمان، والمكان، والإنسان؛ لذا من أكبر الأخطاء التي وقع فيها أهل الحداثة[1] وعلى رأسهم الدكتور حسن حنفي هو

(١) الحداثة: هي: "مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها، وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة، والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوروبا كالمستقبلية والوجودية والسريالية وهي من هذه الناحية شر لأنها إملاءات اللاوعي في غيبة الوعي والعقل، وهي صبيانية المضمون وعبثية في شكلها الفني وتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمر للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبي، بدأ مذهب الحداثة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً في باريس على يد كثير من الأدباء السرياليين والرمزيين والماركسيين والفوضويين والعبثيين، ولقي استجابة لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب. حتى وصل إلى شرقنا الإسلامي والعربي" ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – جـ٢صـ١٦٤ – دار الندوة العالمية بدون.

ذلك المقياس الفاسد الذي قاس به بين أمرين مختلفين، ثم دعا من خلاله إلى اعتبار العلم شيئا، والدين شيئا آخر.

ثانيا: التعريف بكلمة(فكر)

١- التعريف اللغوي لكلمة فكر:

جاء في لسان العرب لابن منظور: (فكَر في الأمر فكرا: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وفكّر في المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها فهو مفكر، والفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة)(١)

كما تدل معاجم اللغة على أنّ عدم الفكر في أمر ما يدل على اللامبالاة وعدم الحاجة إليه؛ جاء في القاموس المحيط: (مالي فيه فكر: أي حاجة)(٢).

ومما يجب التنبيه عليه أن الأفصح في نطق، وكتابة كلمة (فكر) هو بفتح فاء (فَكر) وليس بكسرها كما هو الشائع؛ يقول **ابن منظور** رَحِمَهُ اللَّهُ : (ومن العرب من يقول الفِكْرُ الفِكْرَة والفِكْري على فِعْلى اسم وهي قليلة؛ قال الجوهري: التَّفَكُّر التأَمل والاسم الفِكْرُ والفِكْرَة والمصدر الفَكْر بالفتح قال يعقوب يقال ليس لي في هذا الأَمرِ فكْرٌ أَي ليس لي فيه حاجة قال والفتح فيه أَفصح من الكسر)(٣).

مما سبق يتبين أن كلمة (فكر) في اللغة العربية تدور حول إعمال العقل، والنظر،

---

(١) لسان العرب لابن منظور – تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون –مادة الراء– جزء ٥ ص٣٤٥١ – بتصرف يسير – دار المعارف– القاهرة بدون، وينظر: المعجم الوسيط – تأليف/ إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار– باب الفاء– جزء ٢ص٦٩٨ بتصرف يسير _ تحقيق/ مجمع اللغة العربية– دار الدعوة بدون.

(٢) ينظر: القاموس المحيط– محمد بن يعقوب الفيروز آبادي– فصل الغين –جزء ١ص٥٨٨ – بتصرف يسير – مؤسسة الرسالة– بيروت

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور –مادة الراء– جـ٥ صـ٣٤٥١ – بتصرف يسير، مرجع سابق.

والخاطر في أمر ما للتوصل إلى نتيجة معينة؛ أو لمعرفة مجهول.

٢- التعريف الاصطلاحي لكلمة فكر:

يقول الإمام الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ : الفكر ترتيب أمور معلومة لتؤدى إلى مجهول(١)

نلاحظ اتفاق التعريف الاصطلاحي مع التعريف اللغوي في كون الفكر يدور حول إعمال العقل، والنظر، والاستنباط لمعرفة المجهول الممكن، والتفكر في ملكوت الله للوصول إلى حقيقة الإيمان به، وهذا ما أثبته القرآن الكريم في وصف الذين يتدبرون في خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (٢)

والفكرة: هي الصورة الذهنية التي تتولد في العقل عن شيء ما، جاء في معجم المصطلحات العربية:(**الفكرة idea هي:** الصورة الذهنية المستمدة من العالم الخارجي، والفكر الحر free thought: هو النزعة في التفكير التي تبتعد عن المفهوم الديني لتفسير العالم، ووضع قواعد الأخلاق في الحياة مع الالتزام أصلا بردِ القواعد والأخلاق إلى ما يمليه العقل والتجارب)(٣)

مما سبق يتبين:

١-اتفاق التعريف اللغوي والاصطلاحي في بيان أنّ الفكر عند حسن حنفي يراد به ما قام به من نظر فكري، وتصور عقلي سطّر من خلاله مشرعه الفكري والثقافي، والذي شمل بطبيعة الحال رؤيته حول "التاريخانية" وما يتعلق بها.

---

(١) التعريفات – علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) – جـ ١- باب الفاء صـ١٦٨- دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

(٢) سورة آل عمران الآيتان١٩٠،١٩١

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب – حرف الفاء-صـ٢٧٦ – مرجع سابق.

٢- إعمال العقل إن كان في إطار الضوابط الشرعية كان الفكر مستقيما ومقبولا، وإن كان من غير ضابط أو حاكم كان الفكر معوجا ممقوتا؛ يجب تقويمه وفق الشرع الحنيف والعقل السليم، وهو ما سيقوم به الباحث بأمر الله تعالى في مناقشة التاريخانية في فكر حسن حنفي.

ثالثا: التعريف بالدكتور حسن حنفي

أولا التعريف بالشخصية:

١- **الدكتور حسن حنفي:** من أعمال حي الشرابية محافظة القاهرة، ولد عام ١٩٣٥م، وحصل على ليسانس الفلسفة عام ١٩٥٦م ثم شق تعليمه الجامعي إلى أن حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٩٦٦م ثمَ عين أستاذاً لتدريس الفلسفة في جامعة القاهرة، حصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية عام ٢٠٠٩م.

٢- تدرجه الوظيفي:

* مدرس فلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٦٧ م– ١٩٧٣م
* أستاذ مساعد فلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧٣ م–١٩٨٠م
* أستاذ الفلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٨١م– ١٩٩٥م
* ثم أصبح أستاذا متفرغا بكلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٩٥م.

٣- المناصب التي تقلدها:

تقلد د. حنفي عدة مناصب أهمها:

– رأس قسم الفلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة من عام ١٩٨٨م إلى ١٩٩٤م

– عمل مستشاراً علمياً في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو (١٩٨٥م–١٩٨٧م).

– عمل نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، والسكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية، وقد نوقشت في جامعات مصر – والعالم – أكثر من خمس عشرة رسالة

ماجستير و دكتوراة حول فكر الدكتور حسن حنفي وإسهاماته العلمية)[١].

ثانيا: نتاجه العلمي

يكمن نتاج حسن حنفي العلمي فيما يلي:

١ – مؤلفاته:[٢]

– "سلسلة التراث والتجديد" "موقفنا من التراث القديم؛ وهى عبارة عن خمسة مجلدات بعنوان: من العقيدة إلى الثورة، وقامت بإصدارها مكتبة مدبولي عام١٩٨٨م

– "فيشته فيلسوف المقاومة" وقام بإصدارها المجلس الأعلى للثقافة للطباعة والنشر عام ١٩٩٧م

– الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي وقامت بإصداره مكتبة دار قباء عام١٩٩٨م

– جمال الدين الأفغاني وقامت بإصداره مكتبة دار قباء للطباعة والنشر عبده غريب ضمن مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الأسرة – عام١٩٩٩م

– سلسلة "من النقل إلى الإبداع" وهى عبارة عن تسعة مجلدات وقامت بإصدارها مكتبة دار قباء للطباعة والنشر عام٢٠٠١م

– هموم الفكر والوطن –التراث والعصر والحداثة، وقامت بإصداره مكتبة دار قباء عام٢٠٠٣م.

– من مانهاتن إلى بغداد" وقامت بإصداره مكتبة الشروق الدولية عام٢٠٠٤م

– مقدمة في علم الاستغراب – الدار الفنية القاهرة ١٩٩١م

---

(١) يراجع: موسوعة أعلام الفكر العربي الحديث والمعاصر – د/أيوب أبو دية وآخرون –صـ١٩٠ – دار السفير الأردن ٢٠٠٨م

(٢) هموم الفكر والوطن –التراث والعصر والحداثة – د.حسن حنفي صـ ٧١٣مكتبة دار قباء للطباعة والنشر عبده غريب عام٢٠٠٣م

-حوار المشرق والمغرب – توبقال- الدار البيضاء ١٩٩٠م

– اليسار الإسلامي، كتابات في النهضة الإسلامية، العدد الأول – المركز العربي للبحث والنشر القاهرة ١٩٨١م.

٢- كتاباته في التحقيق:

– أبو الحسن البصري: المعتمد في أصول الفقه، جزءان- المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٦٣-١٩٦٥م.

– الحكومة الإسلامية للإمام الخميني – القاهرة ١٩٧٩م

– جهاد النفس أو الجهاد الأكبر للإمام الخميني – القاهرة١٩٨٠م

٣- كتاباته في التراجم:

-اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة- الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م

– لسنج: تربية الجنس البشرى وأعمال أخرى – الطبعة الأولى -دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٧م

– جان باول سارتر: تعالى الأنا موجود – الطبعة الأولى -دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٧م

ثالثا: الدكتور حسن حنفي سجين الهزائم والانتصارات

يصف د. حسن حنفي نفسه بأنه سجين الهزائم والانتصارات؛ ويعلل ذلك بأن عمره الممتد إلى ما فوق السبعين كان شاهدا على العصر بهزائمه وانتصاراته، وأفراحه وأتراحه. يقول د. حنفي (أول هزيمة شهدتها هزيمة ١٩٤٨م التي ضاع فيها نصف فلسطين وكان عمري ثلاثة عشر عاما وركبت القطار ووصلت إلى غزة لأقاتل مع المجاهدين؛ ولكنهم ردُوني لأنني لم أنتم إلى حزب من الأحزاب المشهورة وقتئذ؛ مثل مصر الفتاة، الشبان المسلمين، الإخوان المسلمين؛ فحزنت كثيرا لضياع القضية الفلسطينية نتيجة هذه التقسيمات الحزبية.

والهزيمة الثانية التي شهدتها هزيمة ١٩٦٧م والتي ضاع فيها نصف فلسطين الآخر؛ وكان الأمر صعبا على لأنني أتيت من فرنسا لأقيم مشروعي الفكري فكانت الهزيمة أمامي؛ وأصعب هزيمة أراها الآن هزيمة الإرادة، وتضاؤل دور مصر الإقليمي، وتقوقعها حول نفسها)[١]

وبعد ذكر الهزائم أخذ يشرع في بيان الانتصارات:

يقول د. حنفي: (لقد عايشت زمن الانتصارات؛ فعايشت انتصار ١٩٧٣م، وتأميم قناة السويس١٩٥٦م، والوحدة مع سوريا ١٩٥٨م، والقوانين الاشتراكية١٩٦٣م، وحرب الاستنزاف١٩٦٨م-١٩٦٩م ... **ويكمل حنفي حديثه قائلا:** "لقد تأثرت بالهزائم والانتصارات، وأثرت فيهما؛ لأن مهمتي تقوم على تفهم شؤون الحياة، والسير بها إلى الطريق الصحيح، فأنا مفكر وطني أنظر إلى الفلسفة على أنها فهم لواقع الحياة مثل نيتشه[٢]، الذي انقلب في فهمه لنظرية (العلم) التي تعنى المعرفة إلى مفهوم المقاومة

---

(١) فيديو: حلقة برنامج العاشرة مساء – قناة دريم ٢ في يوتيوب– مفكرون يبحثون عن إجابة لسؤال النهضة: د.حسن حنفي: الطريق إلى نهضة عربية يبدأ من الجماهير: ٢٠٠ عام من التجريب والمحاولات الفاشلة للدخول إلي عصر النهضة، إسلام أون لاين، ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧م

(٢) فريدريك فيلهيلم نيتشه (بالألمانية: Friedrich Nietzsche) (١٥ أكتوبر ١٨٤٤م – ٢٥ أغسطس ١٩٠٠م) فيلسوف وشاعر ألماني. كان من أبرز الممهّدين لعلم النفس، وكان عالم لغويات متميزاً. كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة المادية منها والمثالية الألمانية. وكتب عن الرومانسية الألمانية والحداثة أيضاً. يُعدّ من بين الفلاسفة الأكثر شيوعاً وتداولاً بين القراء ولد نيتشه عام ١٨٤٤ لقس بروتستانتي وكان العديد من أجداده من جهتي الأب والأم ينتمون للكنيسة، سماه والده فريدريك لأنه ولد في نفس اليوم الذي ولد فيه فريدريك الكبير ملك بروسيا، حيث كان والده مربياً للعديد من أبناء الأسرة الملكية وعاش حياة مدرسية عادية ومنضبطة، وسماه أصدقاؤه القسيس الصغير لقدرته على تلاوة الإنجيل بصوت مؤثر. رأى في المسيحية انحطاطاً وأن النمط الأخلاقي الصائب هو النمط الإغريقي الذي كان يمجد القوة والفن، ويستخف بالرقة والنعومة وطيبة

عندما احتل نابليون ألمانيا وكانت أبرز كلمات نيشته: "أنا أقاوم إذا أنا موجود")[1]

مما سبق يتبين: تأثر الدكتور حسن حنفي بالفلسفات المختلفة مما جعله ينادي بفكرة التاريخانية ويدعو إليها؛ مما يستدعي عرض هذه الفكرة، ومناقشتها مناقشة علمية عادلة.

=القلب التي رآها من صفات المسيحية، وعندما شارف على الموت أوصى أخته قائلاً: إذا متّ لا تجعلي أحد القساوسة يتلو عليّ بعض الترهات في لحظة لا أستطيع فيها الدفاع عن نفسي، من أشهر كتبه "هكذا تكلم زرادشت" الذي مزج فيه شعراً قوياً وحساساً مع مبادئ فلسفية مبتكرة وواقعية؛ وكتب بعدها العديد من الكتب ولكنها كلها كانت تقريباً تعليقاً على هذا الكتاب الذي كان يعتبره أنجيله الشخصي، فضل نيتشه الشعب الألماني على كل شعوب أوروبا، واعتبر أن الثقافة الفرنسية هي أرقى وأفضل الثقافات، بينما يتمتع الإيطاليون بالجمال والعنف، والروس بالمقدرة والجبروت، وأحط الشعوب الأوروبية برأيه هي الإنكليز حيث أثارت الديموقراطية الإنكليزية واتساع الحريات الشخصية والانفتاح الأخلاقي اشمئزازه، واعتبرها دلائل افتقار للبطولة. من أشهر أقواله:عش فى حرب دائمة، لا تنس أن تنكر العقائد والأديان جميعها. ينظر:(الموسوعة الغزالية فى الجوانب الفلسفية – نيتشه فيلسوف القوة– ا.د.محمد حسيني الغزالي ص١٣–٣٠دار الكتب العامة الزقازيق ط١١٤٢٩هـ٢٠٠٨م

(١) فيديو: حلقة برنامج العاشرة مساء – قناة دريم ٢ في يوتيوب– مصدر سابق.

الفصـــل الأول

عرض وتحليل التاريخانية عند حسن حنفي

المبحث الأول

منابع وروافد (التاريخـانية) عند حسن حنفي

تأتى تصورات الإنسان الفكرية نتيجة طبيعية لما يؤمن به ويعتقده، فإن كان الإيمان راسخا، والاعتقاد سامقا خرجت التصورات صحيحة في العقيدة، والشريعة، والأخلاق؛ وإن كان الإيمان فاسدا، والاعتقاد زائفا خرجت التصورات مشوهة تفسد أكثر مما تصلح، وتهدم أكثر مما تبنى؛ قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]

وباستقراء فكر حسن حنفي استقراء ناقصا نجد أن الفكر الفلسفي الغربي من أهم المنابع والروافد التي تأثر بها في فكرة "التاريخانية"؛ فلقد تأثر د.حنفي بالفلسفة الغربية كثيرا في أفكاره وتصوراته؛ وأضحت فكرة "التاريخانية" والتي تأثر بها من الفلاسفة الغربيين ثمرة من ثمار ذلك التأثر.

ويوضّح المطلبان التاليان أهم الروافد الفلسفية التي تأثر بها حنفي في فكرة التاريخانية:

(١) سورة الرعد: آية (١٧)

المطلب الأول: الفكر السبينوزي

تنبع فكرة التاريخانية عند حسن حنفي من منازع عدة؛ أهمها المنزع السبينوزي[١] القائم على إخضاع الكتب المقدسة لعلم النقد التاريخي مثل أي كتاب معرفي، والتحقيق في صحته ونسبته، ومعرفة مدى صلاحيته للحياة من عدمه؛ فانسلخ هذا الرافد السبينوزي على فكر حنفي تجاه القرآن الكريم كتاب الوحي الأول، وأراد أن يطبق عليه منهج النقد التاريخي للكتاب المقدس! الذي وضعه سبينوزا؛ يقول حنفي: " يُعتبر علم النقد التاريخي للكتب المقدسة أحد المناهج العلمية التي وضعتها الفلسفة الحديثة، كما يُعتبر من أهم مكاسب الحضارة الأوربية بالنسبة لدراسة التوراة والإنجيل نتيجة عن تأليه العقل في القرن السابع عشر– قرن سبينوزا– وإخضاع الطبيعة له... ولا فرق بين الظاهرة الطبيعية والنص الديني كلاهما يخضع للعقل وقواعده"[٢]

واسبينوزا يرى أن (النقد التاريخي للكتاب المقدس سابق على الإيمان بالمصدر

---

(١) سبينوزا: باروخ سبينوزا (بالهولندية: Baruch Spinoza) هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن السابع عشر، ولد سبينوزا في عام ١٦٣٢م في أمستردام بهولندا، لعائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيين، وكان والده تاجرا ناجحا ومتعصبا للدين اليهودي، ولكن طبيعة سبينوزا الناقدة والمتعطّشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي. درس العبرية والتلمود، وفي آخر دراسته كتب تعليقا على التلمود فنُبذ من أهله ومن الجالية اليهودية في أمستردام بسبب ادّعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرّف بطبيعة الله، ومن أشهر كتبه (رسالة في اللاهوت والسياسة سنة ١٦٧٠م)، (الأخلاق سنة ١٦٧٧م) توفّي سبينوزا فى لاهاى ١٦٧٧ م. ينظر: (الأعلام من الفلاسفة–باروخ سبينوزا فيلسوف المنطق الجديد–الشيخ كامل محمد محمد عويضة ص٤٧وما بعدها دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٣هـ–١٩٩٣م

(٢) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة– ترجمة د.حسن حنفى – ص١٨– ط١ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م.

الإلهي للكتاب، وهو الضامن لصحته من حيث هو وثيقة تاريخية تحتوي على الوحي الإلهي، وتحتاج إلى تحقيق تاريخي مضبوط، وبالتالي يعارض سبينوزا وجهة النظر التقليدية المحافظة التي تؤمن بألوهية الكتاب قبل تطبيق قواعد المنهج التاريخي عليه)[١].

وخطورة تأثر حسن حنفي بهذا الرافد تكمن في كونه لا يؤمن بتكفل الله بحفظ كتابه من الزيادة أو النقصان، بل واعتبار ذلك نوعًا من الغلو والتشدد، وهروبًا من النقد، **يقول حنفي:** " يُغالي البعض وأكثرهم من اللاهوتيين المحافظين ويدعون أن الله قد حفظ كتابه من التغيير والتبديل وأن العناية الإلهية هي الحافظة للنصوص، ومن ثم فلا داعي هناك لتطبيق قواعد المنهج التاريخي على النصوص الدينية، وإقامة نقد تاريخي للكتب المقدسة ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٢]، وهي نظرية لاهوتية صرفة، تهرب من النقد، وتلجأ للسلطة الإلهية"[٣]

مما سبق يتضح تأثر حسن حنفي في القول بالتاريخانية بسبينوزا[٤] والسير خلفه قدما بقدم، وخطوة بخطوة.

(١) ينظر: المرجع السابق ص٢١.

(٢) سورة الحجر آية ٩

(٣) ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة ص٢١،٢٢- حاشية رقم ٢.م.س

(٤) ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة ص١٧.م.س

المطلب الثاني: الفكر المــاركسي

تأثر حسن حنفي بالتفسير الماركسي للتاريخ، وأخذ يرى أن "العامل المتحكم في سير التاريخ هو العامل الاقتصادي؛ بل ويعتبر أن تفسير التاريخ بهذه الطريقة أفضى إلى التقدم في أوربا، وسيفضى للتقدم في الإسلام إذا قرئ التاريخ بنفس القراءة الغربية"(١).

وتأثر الدكتور حسن حنفي بالرافد الماركسي جدّ خطير؛ لأن الرافد الماركسي" يرى أن أصل الكون، والإنسان، والحياة هي المادة؛ ولا إله، والعامل المتحكم في سير التاريخ هو العامل الاقتصادي؛ أي وسائل الإنتاج؛ فهي التي تصنع صورة العلاقات الاجتماعية، والفكرية، والأخلاقية؛ وغيرها...، فالتاريخ البشري عملية صراع حسب تغير وسائل الإنتاج وتطورها؛ فالبشرية بدأت بالشيوعية، ثم البدائية، ثم نظام الطبقات القديم، ثم الإقطاع، ثم الرأسمالية، ثم الشيوعية حيث ينعدم نظام الطبقات، وينتهي الصراع، وتتحقق السعادة لجميع البشر."(٢)

وتأثر الدكتور حسن حنفي بالمنزع الماركسي جعله يتعامل مع القرآن الكريم كتاب الوحي الأول على أنه وثيقة تاريخية كأي وثيقة بشرية، يجب أن يُتحقق من صحتها تاريخيا، ثم تأويلها بما يتوافق مع متطلبات الواقع وحاجات العصر؛ وما يتوافق مع الاقتصاد وسوق العمل، وهذا أمر خطير لأنه ينفي عن القرآن الكريم القداسة التي أعطاها الله إياه، ويحوّله إلي كلام بشري لا قدسية له، يخضع لقانون الاقتصاد والعرض والطلب؛ وبذلك يصبح اتّباعه ضربا من التخلف والرجعية؛ لأنه اتباع لتاريخ معين لا يواكب الحاضر والمستقبل؛ وهو ما لا يتفق مع أولى مفردات البحث العلمي المجرّد.

---

(١) جاء ذلك في لقائه تلفزيونيا على قناة C B C مع أ/ عادل حمودة، في يوم ١٥/ ١٢/ ١٠١٢م.

(٢) الحداثة في ميزان الإسلام – د.محمد على طرخان–جـ١صـ٤٢٧– كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة– ٢٠٠٧م

المبحث الثاني
آثار القول بـ (التاريخانية) عند حسن حنفي

إن القول "بالتاريخانية" عند حسن حنفي يجعل الوحي المعصوم لا قداسة له ولا هيبة؛ لأنه يتحول إلى كتاب تاريخ يخضع للقبول والردّ، فتنتفي عنه صفة الإلزام المفضية لطاعة الله وطاعة رسوله، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[1]

ويتحول الدين إلى مسخ مشوّه؛ تنتفي عنه الصبغة الإلهية التي أرادها الله لعباده، قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[2]

وآثار القول بالتاريخانية في فكر حسن حنفي تظهر من خلال ما يلي:

المطلب الأول: زعمه بأن النص جاء لمرحلة زمنية معينة لا يتجاوزها

النصّ عند حنفي جاء لمرحلة تاريخية معينة؛ بينما الواقع هو المعايشة الحقيقية للحياة؛ لذا يجب الاحتكام إليه دون النص؛ لأن النصّ مرحلة تاريخية انتهت؛ بينما الواقع مرحلة مستمرة؛ ويستدل حنفي على زعمه بأسباب النزول؛ حيث زعم أن الآية ما كانت تنزل إلا لسبب؛ فإذا لم يكن هناك سبب فلا نزول؛ فالواقعة هي التي تفرض نزول الوحي؛ فالوحي تابع للواقع؛ وليس الواقع بتابع للوحي.

يقول حنفي: (ما نزلت آية إلا بسبب، وما جاءت إجابة إلا لسؤال، يقول تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (١٣٢)

(٢) سورة البقرة: آية رقم (١٣٨)

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾[١]، فالسؤال يطرح؛ والإجابة تتلوه؛ فالإجابة كانت للواقع فقط) [٢] ويقول حنفي: "البشر يتكلمون والله يسمع ويستجيب، الناس يتحدثون والله يرد.. كلام الله إذن استجابة لكلام البشر.. فالوحي والواقع صنوان على مستوى الصياغة اللغوية، وعلى مستوى الاهتمامات الفعلية"[٣]؛ ويقول: (الواقع له أولوية على كل نص)[٤]

ويمكن الرد على مزاعمه بأن الوحي جاء لفترة تاريخية محددة لا يتجاوزها بدعوته إلي معرفة أسباب نزول القرآن الكريم حق المعرفة، حتى يعلم أن أفكاره حول هذا الموضوع متضاربة ومتناقضة لا تمت إلى الحقيقة العلمية بصلة، وأنه لم يقل أحد من علماء القرآن الكريم بقوله؛ بل قرّروا أن القرآن الكريم (قسمان: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق، وهو كثير ظاهر لا يحتاج إلى بحث ولا بيان، وقسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة)[٥].

ومما لا يخفى على طلبة العلم أن معظم آيات القرآن الكريم نزلت ابتداء؛ أي بدون سبب نزول خاص أو معين مثل الجانب الاعتقادي؛ بل إن كثيرا من الآيات نزلت فهدمت الواقع القائم وعفت على آثاره، وأقامت على أنقاضه بناء شامخا يأوي إليه الإنسان في

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٢

(٢) حسن حنفي، لقاء قناة سي. بي. سي– تخريج سابق.

(٣) هموم الفكر والوطن (٢٣/١).

(٤) التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم – د.حسن حنفي – صـ١٠٤– ط١المركز العربي للبحث والنشر القاهرة١٩٨٠م

(٥) لباب النقول في أسباب النزول – الإمام جلال الدين السيوطي– جـ١صـ٣– دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان.

جميع العصور، كما أن بعض الآيات جاءت لتأسيس معارف جديدة ليست مرتبطة بواقع معين؛ مثل حديثها عن مظاهر خلق الطبيعة، وتسخير السنن، وخلق الإنسان، وحياة الأنبياء، وتاريخ الأمم والحضارات، وأما الآيات التي لها سبب نزول خاص لا تعدو أن تكون بعضا أو طرفا من آيات الأحكام، والجانب التشريعي في القرآن الكريم.

فمما سبق يمكن القول: إن ما زعمه الدكتور حنفي من أن الواقع إذا اشتدّ اشتدّ الوحي، وإن تراخى تراخي الوحي، وأن الواقع له أولوية على كل نص؛ كلام يجانبه الصواب بدليل ما سبق.

المطلب الثاني: زعمه بأن الوحي تابع للواقع فما يصلح للماضي لا يصلح للحاضر

من آثار القول بالتاريخانية ما زعمه حنفي من أن الوحي تابع للواقع، فما يصلح للماضي قد لا يصلح للحاضر، وما كان سائغا في الماضي والتاريخ القديم لا يصلح للحاضر، ويستدل حنفي على زعمه بأسباب النزول، والتي يعتقد أنها أوضح مثال على زعمه، فسبب نزول الآية في زعمه يؤكد فكرة التاريخانية؛ لأنها نزلت لسبب معين، وتاريخ محدد يجب ألاّ تتعداه بحال من الأحوال؛ وهذا ما يدفعنا إلى دعوته لقراءة ما ذكره علماء القرآن الكريم في أسباب النزول حتى يعرف اتفاق كلامه مع الصواب أم مجانبته؛ فلقد ذكر علماء القرآن الكريم أن: **(أن هناك أمورا كثيرة لم تحدث في الواقع؛ ومع ذلك تحدث عنها القرآن الكريم، فكيف يقال:** إن الواقع هو المتحكم في الوحي؛ إن اشتدّ اشتدّ، وإن تراخى تراخى!

مثال ذلك: بشائر ووعود القرآن التي لم تحدث ومع ذلك وعد الله لا يتخلف ولا يتبدل، من ذلك ما نزل به القرآن الكريم في شأن أبى لهب: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ ﴾[1] فبقي أبو لهب على كفره فيما استقبل من فترة نزول القرآن حتى وافاه الأجل![2] فالوحي أخبر سيدنا محمد ﷺ فيما استقبل من أمر، ولم يكن الواقع هو المتحكم في الوحي؛ فكيف يقال بعد ذلك إن الوحي يتتابع بتتابع الواقع؟! إن إيمان حسن حنفي يجعله يحصر القرآن في دائرة زمنية محددة لا يتعداها؛ وهذا الفهم هو تطبيق للتاريخانية في أوضح صورها؛ بينما القرآن جاء للماضي، والحاضر، والمستقبل.

---

(١) سورة المسد: الآية (٣)

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)- جـ١صـ١٠٦- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الثالثة بدون.

المطلب الثالث: إنكار خيرية القرون الأولى لانقضاء تاريخها

يزعم حنفي أن فترة القرون الأولى فترة تاريخية عادية خضعت لظروف معينة، فلا داعي لتمجيدها أو اعتبارها حقبة للانقياد، أو الطاعة، فهي فترة عادية، وأي تقدير لها فهو مجاف للحقيقة، و هذا ما دفعه إلى إنكار، ونقد حديث سيدنا رسول الله ﷺ (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم..)[(١)].

وكان تعليله للرفض القاطع لهذا الحديث الشريف زعمه بأنه يتنافى مع مبادئ العدل والمساواة، فيقول: "ما ذنب حسن حنفي أن يأتي في قرن غير هذه القرون؛ إن هذا فيه ظلم وتعسف"[(٢)]

وحنفي بهذا الكلام لم يفهم الحديث على وجهه الصحيح؛ فالنبي ﷺ لم يقصد ظلماً لفئة، ولا لحقبة تاريخية، بل يدعو إلى الزيادة في العمل؛ اقتداء بالسابقين، فقوله ﷺ: خير القرون قرني: ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول، (لذا لم ير سيدنا عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – الأفضلية في الزمن ولكن في مجموعة الصحب الكرام الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، وشهدوا بدرا، والحديبية؛ فتقدير الكلام –والله أعلم –: خير الناس أصحابي من قرني؛ فقوله ﷺ خير الناس قرني: لفظ خرج

(١) عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ: (خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم). قال عمران لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة قال النبي ﷺ: (إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن). الجامع الصحيح المختصر– محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي – تعليق د. مصطفى ديب البغا – كتاب الشهادات – باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد – جـ٢صـ٩٣٨–حديث رقم–٢٥٠٨– دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

(٢) يوتيوب– قناة دريم ٢– فيديو: حلقة برنامج العاشرة مساء –(مفكرون يبحثون عن إجابة لسؤال =النهضة: د.حسن حنفي: الطريق إلى نهضة عربية يبدأ من الجماهير: ٢٠٠ عام من التجريب والمحاولات الفاشلة للدخول إلي عصر النهضة)– إسلام أون لاين– ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧م

على العموم ومعناه الخصوص؛ وشاهده قوله الله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[1]، فقد قيل في قول الله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ .. ﴾ أنهم أمة سيدنا محمد ﷺ يعني الصالحين منهم، وأهل الفضل؛ وهم شهداء على الناس يوم القيامة.

والصحب الكرام- القرن الأول- فضلوا على غيرهم لأنهم آمنوا حين كفر الناس، وصدقوا حين كذب الناس، وعزروا النبي ﷺ ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، ولأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم)[2]

فآخر هذه الأمة تزكو أعمالهم في زمن الفتن كما زكت أعمال أوائلهم؛ بشرط التمسك بالدين والصبر (وإن آخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على طاعة ربهم في حين ظهور الشر والفسق، والهرج، والمعاصي، والكبائر كانوا عند ذلك أيضا غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمن كما زكت أعمال أوائلهم؛ ومما يشهد لهذا قوله ﷺ: "إن الإسلام بدا غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء)[3].

فمن أقام الدين وتمسك به له أجر عظيم عند الله سبحانه وتعالى، ويصبح مثل المطر الذي لا يدرى أوله خير أم آخره.

---

(١) جزء من آية في سورة آل عمران رقم (١١٠)

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)-جـ ٢٠صـ ٢٥١،٢٥٢تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري - مؤسسة قرطبة-بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق صـ٢٥١،٢٥٢، والحديث في صحيح مسلم - كتاب الإيمان-باب بَيَانِ أَنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ- جـ١ صـ٤٦٧ حديث رقم٣٨٩-مرجع سابق.

المطلب الرابع: زعمه بأن اجتهاد الأئمة الأربعة ـ رضي الله عنهم – جاء لفترة تاريخية معينة لا يجب تجاوزه

يزعم حنفي أن الأئمة الأربعة – **رضي الله عنهم**– هم مصدروا الفقه التقليدي الشعبي القديم، وأن أي محاولة لتجديد الفكر لابد أن تتم بتجاوزهم؛ لأنهم يمثلون النظرة القديمة الجامدة في فهم النصوص، **يقول حنفي** عن الأئمة الأربعة – **رضي الله عنهم**–: (هل هؤلاء رسل جدد؟!! هم مجتهدون في وقت معين انتهوا بانتهائه؛ وهذا ما أكده الرسول ﷺ بقوله: (يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد للناس دينهم)[1].

وهذا القول من حنفي محض افتراء على الأئمة الأربعة – **رضي الله عنهم**– لأنه لم يقل واحدٌ منهم إنه رسول جديد، أو يوحى إليه؛ وحاشاهم أن يقولوا ذلك؛ وهم وقَافون عند حدود الله تعالى؛ ولكنهم رُزقوا أدوات الاجتهاد فاجتهدوا، ومنحوا نعمة العلم والفهم فاستنبطوا؛ وتحقق فيهم شروط الاجتهاد التي ذكرها العلماء، فلقد اشترطوا في المجتهد أن يكون: "من العلماء الممتازين، والفقهاء البارزين الذين وقفوا على جملة ما جاء في المسألة التي هي موضوع الاجتهاد من القرآن والسنة، وعرفوا المطلق والمقيد، والمجمل والمفصل، والناسخ والمنسوخ، والمتقدم والمتأخر، وأسباب النزول، وعرفوا علوم اللغة ومرامي ألفاظها ومعانيها، وغير ذلك من أدوات الاجتهاد التي تبعد الخطأ فى أغلب الظن، واجتهاد المجتهدين ليس تشريعا للأحكام وإنشاء لما ليس موجودا منها؛ لكنه إظهار للحكم واستخراج له من النصوص عن طريق الفهم، والمقارنة، والقياس، وتطبيق المبادىء العامة

---

(١) لقاء تلفزيوني مع د/ حسن حنفي– قناة دريم ٢ – تخريج سابق؛ ونص الحديث (عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها). مستدرك الحاكم على الصحيحين– محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا– كتاب الفتن والملاحم –جـ٤صـ٥٦٧ – حديث رقم ٨٥٩٣ دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠

للشريعة وما تهدف إليه من رعاية المصالح ودرء المفاسد عن العباد)[1]

فالأئمة الأربعة لم يقل واحد منهم إنه رسول؛ بل هم مقتفون أثر النبي ﷺ لذا لم يبال الواحد منهم بظهور الحق على لسانه أم على لسان غيره، والإسلام الحنيف لم يعدم المجتهدين إلى قيام الساعة؛ حتى يبقى الإسلام غضاً طرياً، وهذا هو المراد من بعث من يجدد للناس دينهم على رأس كل مائة سنة، **يقول ابن الأثير** رَحِمَهُ اللَّهُ : " قد تكلم العلماء في تأويل هذا الحديث، والأولى أن يحمل الحديث على العموم، فإن قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا، وإنما قد يكون واحدا، وقد يكون أكثر منه فإن لفظه «من» تقع على الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث: الفقهاء خاصة؛ كما ذهب إليه بعض العلماء، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعا عاما في أمور الدين، فان انتفاعهم بغيرهم أيضا كثير؛ مثل: أولى الأمر، وأصحاب الحديث، والقراء، و الوعّاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد، فإن كل قوم ينفعون بفن لا ينفع به الآخر، إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء ويتمكن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أولي الأمر، وكذلك أصحاب الحديث: ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع، والقراء ينفعون بحفظ القراءات، وضبط الروايات، والزهاد ينفعون بالمواعظ، والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر، لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا مشهورا معروفا مشارا إليه في كل فن من هذه الفنون، فإذا حمل تأويل الحديث على هذا الوجه؛ كان أولى، وأبعد من التهمة، وأشبه بالحكمة، فإن اختلاف الأئمة رحمة، وتقرير أقوال المجتهدين متعين، فإذا ذهبنا إلى تخصيص القول على أحد المذاهب، وأولنا الحديث

(١) المفيد في الفقه الإسلامي– د. عبد الرحمن العدوى صـ١٥– كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٦م

عليه، بقيت المذاهب الأخرى خارجة عن احتمال الحديث لها، وكان ذلك طعنا فيها؛ فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة يجدّدون للناس دينهم، ويحفظون مذاهبهم التي قلدوا فيها مجتهديهم وأئمتهم؛ وقد كان قبيل كل مائة أيضا من يقوم بأمور الدين، وإنما المراد بالذكر من انقضت المائة وهو حيّ عالم مشهور مشار إليه)[1]

فيجب على الدكتور حنفي، أن يفرّق بين الاجتهاد، والرسالة، ويعلم أن رسالة النبي ﷺ ليست لفترة تاريخية معينة تنقضي بانقضائها، أو تنتهي تشريعاتها في فترة دون أخرى؛ بل هي لقيام الساعة؛ لذا أودع الله فيها ما يمكّن العلماء من استنباط الأحكام الملائمة لكل زمان ومكان؛ وهذا ليس نبوة أو رسالة ادّعوها؛ بل هو اجتهاد فتح الله به عليهم لتمكّنهم من أدواته؛ وهذا ما يجب أن يعلم ما بين النبوة والاجتهاد.

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول– مجدالدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفي: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – جـ١١صـ٣١٩ – مكتبة الحلواني –الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢ م

الفصل الثاني
نقد التاريخانية عند حسن حنفي
وبيان خطرها على الدين

توطئة:

إن الأمانة العلمية تقتضي عرض الرأي ومناقشته بحيدة علمية؛ بعيدة عن التعصب، والتجنّي على الآخرين في الحكم عليهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]

وآراء حسن حنفي في العقيدة، والشريعة، والأخلاق هي نتاج لما يؤمن به ويتصوره من التاريخانية وغيرها، فالوحي عنده مرحلة تاريخية معينة لا يتعدها ولا يتجاوزها؛ لذا لا يصنع مستقبلا، ولا يحكم حاضرا؛ لذا يأتي هذا الفصل لنقد آرائه في العقيدة، والشريعة، والأخلاق، وبيان ما يوافق منها الشرع وما يخالفه.

ونقد آراء حسن حنفي تلتزم الحيدة العلمية المنصفة التي تبتعد عن الشتم، والسب، والقذف، والتحقير، والتهوين؛ التزاما بآداب الإسلام المأمور بها.

ونقد الرجل في آرائه عن التاريخانية يأتي لبيان خطورة فكره على الدين القويم، وتحويله إلى مسخ؛ لا دور له في المجتمع، ولا الحياة العامة؛ فالرجل يدعو إلى أن يكون الدين علاقة روحية لا أثر لها في العقيدة، ولا الشريعة، ولا الأخلاق، فالناس يفعلون ما يشاءون؛ لا يتحاكمون إلا إلى ما تواضعوا عليه من قواعد وقوانين اتفقت مع الدين أو اختلفت!

---

(١) سورة المائدة: الآية رقم (٨)

ونقد حسن حنفي هو نقد لفكر أهل الحداثة؛ لأن المشترك الفكري بينهم واحد؛ فبنقده نقدهم، وببيان قصوره بيان قصورهم؛ لذا يأتي هذا الفصل لينقد فكره، ويظهر أثر التاريخانية في العقيدة، والشريعة، والأخلاق؛ باعتبارها المكونات الأساسية للدين.

المبحث الأول: نقد (التاريخانية) في العقـــيدة

إن فكرة "التاريخانية" عند حسن حنفي تجعله يؤمن بأن الدين جاء لمرحلة تاريخية معينة لا يتجاوزها؛ تكوّن فيها، وعالج قضاياها، وانتهت قدسيته بذلك، أمّا ما يستجدّ من أمور فلا علاقة له بها.

ويذهب شطط فكره إلى اعتبار ما يدعو إليه الوحي من آيات غيبية أمر غير موثوق فيه لأنه غير مؤيد علميا، فضلا عن كون دلالات الوحي تاريخية لا تصلح لإفادة أمر في المستقبل، فلا داعي للإيمان بأمور غيبية لم تخضع للحسّ، ولم يتصورها العقل،

يقول حنفي: (فلا يحتاج الإنسان كي يكون مسلماً إلى الإيمان بالجنة والملائكة والشياطين والعفاريت، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فيمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقاً في سلوكه)[1].

وحنفي بهذا الكلام يخالف القران الكريم والسنة النبوية في أمرهما بالإيمان بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، واعتبارهما من يكفر بذلك في ضلال بعيد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾[2]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ

(١) في فكرنا المعاصر- حسن حنفي- صـ ٩٣ - مرجع سابق.

(٢) سورة النساء: آية (١٣٦)

اللَّهِ مَا الإِيمَانُ قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلاَمُ قَالَ « الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّىَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِحْسَانُ قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِى خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ». ثُمَّ تَلاَ ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ ». قَالَ ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « رُدُّوا عَلَىَّ الرَّجُلَ ». فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ)[1]

وهذا الكلام من حنفي يتشابه مع ما قاله ماركس عن الإله الذي يؤمن به ويدعو إليه– وهو ما يؤكد تأثره بالرافد الماركسي في فكره – يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض حديثه عن الشيوعية: (أما موقفها من الدين نفسه ابتداء فهو الإنكار والخصام. يقول "كارل ماركس " في "المانفستو" الذي أودع فيه مبادئه وجادل فيه خصومه: "أما ما وجه للشيوعية من تهم دينية وفلسفية وأخلاقية فلا يستحق بحثا عميقا.." عجبا.. إن الشيوعية متهمة بإنكار الله والرسل والحلال والحرام والبعث والجزاء فهل هذه القضايا كلها لا تستحق بحثا عميقا؟ ذاك ما يراه هذا "الكارل ماركس "!! ما

(١) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري– كتاب الإيمان–باب الإيمان ما هو وبيان خصاله– جـ١ ص٣٠–حديث رقم ١٠٦–دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة . بيروت–بدون.

الذي يستحق إذن عمق البحث؟ لقمة الخبز فقط..؟ أكل ما يتصل بالإنسانية الرفيعة نلقاه بقلة الاكتراث وهز الرأس ولا يشد انتباهنا فقط إلا رغيف الخبز؟)[١]

وترتب على هذا القول بالتاريخانية تجريد الدين من محتواه، لأنه كما يزعم حنفي جاء لفترة تاريخية معينة، أما المستقبل والغيب فيجب أن يخضع لقواعد أخرى، والدعوة للإيمان بالأمور الغيبية خدعة يخدع بها رجال الدين الناس للوصول إلى مآرب دنيوية حقيرة، مثال ذلك ما زعمه حنفي في الدار الآخرة، حيث قال: (الميت لا حياة له وبالتالي لا تعذيب له، ولم ير أحد عذاب القبر، أو آثار على جثة إذا ما فتح القبر، ولم تسمع أصوات الأنين أو تأوهات الألم، وأين يقع الألم إذا ما تحولت الجثة إلى عظام بالية، أو انقطعت إلى أجزاء في جوف السباع، وحواصل الطيور، وأقاصي التخوم، ومدارج الرياح)[٢]

وزعم أن الأقرب إلى الصواب إنكار حشر الأجساد، والتعذيب بالنار، والتنعيم في الجنة؛ لأن المعاد الروحاني تصور عقلي ممكن بخلاف المعاد الجسدي الذي لا يتفق مع التصور العقلي، يقول حنفي: (أليس إنكار حشر الأجساد، والتعذيب بالنار، والتنعيم في الجنة؛ بحور العين، والمأكل، والمشرب، والملبس من أجل إثبات المعاد الروحي، والنعيم الروحاني أقرب إلى العقل والإنسانية؟! أليس القول بتقدم الله على العالم هو تقدم بالرتبة كتقدم العلة على معلولها دون أن يعنى ذلك تقدماً في الزمان إحدى التصورات الممكنة التي لا يرفضها العقل، إن تأويل الفلاسفة للنصوص والانتهاء إلى هذه القضايا الثلاث إنكار علم الله بالجزئيات، وإنكار حشر الأجساد، والقول بقدم العالم؛ ليس تكذيباً للنبوة وللرسالة بل تحويل للعقائد إلى معان عقلية تتفق وطبيعة العصر، والروح المثالية للفلسفات القديمة؛ نعمة العقل، ومنهج الاستنباط، ولذة الدهشة والمعرفة، إن التعديل الفاسد ليس كذباً أو كفراً بل هو اجتهاد خاطئ

(١) الإسلام في وجه الزحف الأحمر– الشيخ محمد الغزالي– ص٢٦– دار نهضة مصر–الطبعة الأولى

(٢) من العقيدة إلى الثورة– د.حسن حنفي – جـ٤ صـ٤٧٨–مكتبة مدبولي – بدون

له أجر فهل يستوجب قول الفلاسفة كفر أو قتال؟)[1]

ويمكن القول: إن هذا القول من الدكتور حنفي يضعه في منزلق خطير؛ لافترائه على الله وعلى رسوله ﷺ في إنكار هذه الثوابت التي لا يجوز التجرؤ عليها، **وهذا ما أكدّ العلماء على خطورة القول والاعتقاد بها، يقول الإمام أبو حامد الغزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ: (هؤلاء هم الفلاسفة؛ ويجب القطع بتكفيرهم في ثلاث مسائل:

١-إنكارهم الحشر للأجساد.

٢- وإنكارهم التعذيب بالنار، والتنعيم في الجنة؛ بالحور العين، والمأكل، والمشرب، والملبس.

٣- وقولهم إن الله لا يعلم الجزئيات، وتفصيل الحوادث، وإنما يعلم الكليات؛ وإنما الجزئيات تعلمها الملائكة السماوية)[2]

فمزاعم حنفي إذن قديمة ولكن أعادها بصورة منمّقة ألبسها ثوب زور من ادّعاء المنهجية، والبحث العلمي؛ وهي بعيدة كل البعد عن ذلك.

(١) من العقيدة إلى الثورة، جـ ٥ صـ ٤٨٨.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد، حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي، ص ١٢٥، ١٢٦.

المبحث الثاني: نقد (التاريخانية) في الشريعــة

الوحي عند حسن حنفي ميراث ثقافي، وتاريخي، وتربوي؛ يصف واقعا، ويتغير بتغير الظروف والأحوال؛ فما يصلح للماضي لا يصلح للحاضر لأنه لا قداسة للوحي بل هو مجرد وصف لواقع تاريخي.

وهذا الزعم الذي يأتي على الدين من أصله؛ لأنه ينفي القداسة عن القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة، ويجعلهما مصادر تاريخية انقضت بانقضاء زمانها؛ فلا قدرة لهما على وضع تشريعات تلائم الواقع، بل يجب أن يخضع الواقع لقواعد وقوانين عقلية يتواضع عليها البشر. **يقول حنفي:** (نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعنى هذان المصدران أي تقديس لهما بل هو مجرد وصف لواقع)[1]

فالقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة عند حنفي لا تقديس لهما؛ لأنهما يصفان الواقع الذي نزلا فيه، وهو ما يعني انتفاء امتداد أثرهما في الحاضر والمستقبل، وهو تكريس لمفهوم التاريخانية في أسوأ صورها؛ وهو ما جعله ينظر إلى الشريعة على أنها علاقة روحية لا ثبات فيها ولا إلزام.

ويضرب حنفي مثالا على "التاريخانية" في الشريعة من خلال أحكام المرأة في الإسلام، فيزعم أن الفقه الإسلامي ظلم المرأة؛ فلم يعطها حقها الكامل في الإنسانية، واعتبرها موضوعا للزواج، والطلاق، والخلع، والحيض، والنفاس، وذلك بناء على قبوع الوحي في فترة تاريخية سابقة لا تصلح للحاضر أو المستقبل، **يقول حنفي:** (في الثقافة الشعبية، وفي الكتب القديمة المرأة موضوعٌ للنكاح، والزواج، والطلاق، والرؤية، والحجاب، والغطاء.. الخ، وإن لم تتغير هذه الصورة في الثقافة الموروثة فتصبح المرأة إنساناً له حق العمل، والرأي، والتعلم، والمواطنة فستظل المرأة في هذا السلوك

(١) من العقيدة إلى الثورة – د– حسن حنفي– صـ٢٢ مرجع سابق.

الذي نراه الآن... الخطورة في تقسيم المجتمع إلى أقليات وأغلبيات، واعتبار المرأة من الأقليات وضياع حقوقها؛ فالمرأة مواطن، والقبطي مواطن، والصعيدي مواطن ... فالوطن يجمعنا جميعاً دون ذكر أو أنثى، أو...، وحتى الآن في بطاقة الرقم القومي المصري يوجد خانة ذكر أو أنثى، فما الفائدة من ذلك؟ وعند الزواج يكتب ذكر أو أنثى فما فائدة ذلك؟!! أليس يظهر هذا في الملبس الخارجي؟!! إن هذا التقسيم إلى ذكر وأنثى؛ هو تقسيم قديم يجب النظر إليه؛ لأننا جميعاً في حق المواطنة سواء)[1].

ويمكن تفنيد مزاعمه ببيان أنه خلط بين الموروث البشرى والموروث الشرعي، وأخذ بمبدأ التاريخانية في النظر إلى الإسلام على أنه تاريخ مثل الحضارات السابقة التي قلّلت من شأن المرأة، وألحقت بها الذلّ والصغار (ففي حضارة مصر القديمة كان الملك يتزوج أخته وأحياناً ابنته، كما كان يضاجع قريباته، وكان له إلى جانب ذلك عدد كبير من بنات الأعيان اللاتي تقدمّن له هدية، وله عدد من أسيرات الحرب)[2] وفى حضارة الهند (المرأة مخلوق أقل من الرجل على كل حال وتقول أساطيرهم: إن الخالق عندهم عندما أراد أن يخلق المرأة وجد أن مادة الخلق كلها قد استنفذت في خلق الرجل، فصاغ المرأة من جذاذات وقصاصات تناثرت من عملية الخلق)[3]، وفى حضارة بابل وآشور، والحضارة الرومانية (كانت المرأة تباع بيعاً كالسلعة؛ فكانوا يأتون بهن مرة كل عام إلى مكان يجتمع فيه حولهن عدد كبير من الرجال، ثم يصفهن دلاّل عام، ويبيعهن جميعاً واحدة في إثر واحدة، فينادى على

(١) لقاء تلفزيوني على قناة سي بي سي مع الإعلامي عادل حمودة، سبق بيانه.

(٢) المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، د/ علي عبد الحليم محمود، صـ ٥٢، دار الوفاء، ط/٤، سنة ١٤٢٢هـ، بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق، صـ ٢٩، ٣٠.

أجملهن أولاً، وبعد أن يقبض ثمنها عالياً ينادي على من تليها في الجمال) [١] وأكبر مثال على إهمال المرأة فى الحضارات السابقة (ما قام به الفرنسيون عام ٥٨٦ من الميلاد من النظر فى شأن المرأة أتُعدُّ إنساناً أم غير إنسان؟ وكان ختام البحث أن قرر المجتمع أنها إنسان؛ ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل) [٢]

والمتأمل في مزاعم حنفي حول المرأة يجدها محض افتراء على الإسلام، وخلط بين الموروث البشري والموروث الشرعي، فالإسلام ليس تراثاً شعبياً، ولا أفكار بشرية محضة؛ بل هو دين موحي به إلى رسول الله ﷺ والمرأة فيه لها حقوق، وعليها واجبات؛ فلم تكن في الدين الإسلامي للمتعة فقط، ولا موضوعاً للشهوة والاستمتاع؛ بل هي مكمن الكرامة، والاحترام، والتقدير؛ فعن أم سلمة–رضي الله عنها– قالت: (قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يذكر الرجال، قلت: فلم يرعني [*] منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر، قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد [**] فإذا هو يقول عند المنبر: يا أيها الناس إن الله يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[٣].

---

(١) المرأة المسلمة، ص ٤٢ وما بعدها بتصرف يسير.

(٢) ينظر كتاب: محمد ﷺ المثل الكامل– أحمد جاد المولى – صـ ٢٤٨؛ ٢٥٠ بتصرف يسير، مكتبة دار المحبة، ط/١، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م

(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني – مسند أم سلمة زوج النبي ﷺ– جـ٦– صـ٣٠١حديث رقم– ٢٦٦١٧– مؤسسة قرطبة – القاهرة وهو إسناده صحيح؛ (*) فلم يرعني: يفزعني

وعن أم سلمة قالت: (يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[1][2].

فهذان الحديثان يؤكدان مدى حرص الإسلام على نزع القلق والخوف من النساء بشأن كونهن أقل من الرجال في اكتساب الدرجات العليا في الدين، ونيل الأجر والمغفرة فبين لهم أن الله يجازي على العمل الصالح المثمر الذكر والأنثى؛ ولا يخص نوعاً دون نوع، يقول الإمام الزمخشري فى قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ بجميع ذكوركم وإناثكم أصل واحد، فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله، كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم)[3]، وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ ما يؤكد على هذه الركيزة الإسلامية؛ (روي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزلت فينا شيء من القرآن؟ قلت: لا، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قالت: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن

=ويفاجئني، (**) فجعلت سمعي عند الجريد: أي رفعت رأسي إلى جهة الجريد الذي هو سقف المسجد لقرب النبي ﷺ منه وهو على المنبر لكونه غير مرتفع عن المنبر كثيراً،ينظر نفس المرجع بتعليق الأرناؤوط، والآية من سورة الأحزاب رقم(٣٥)

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩٥).

(٢) مستدرك الحاكم على الصحيحين- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- كتاب التفسير - تفسير سورة آل عمران-جـ٢صـ٣٢٨ دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- تحقيق عبد الرزاق المهدي- ج١ص٤٨٥- دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون

لا يذكرن بخيرٍ كما يذكر الرجال فأنزل الله هذه الآية)[١].

وفى سبيل التأكيد على تعليمها العلم النافع جاءت الأحاديث تترى؛ منها:

– روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ كان يخصّ النساء بأيام يعلمهن فيها مما علمه الله، وذلك لما جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي إليك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال ﷺ: اجتمعنّ يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فجاء رسول الله ﷺ فعلمهنّ مما علمه الله)[٢].

وبشَر النبي ﷺ من علَم المرأة العلم النافع بالثواب الجزيل؛ فعن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما رجل كانت عنده وليدة؛ فعلمّها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجراه) [٣].

(فالحديثان لا يحددان نوعاً من العلم وإنما يدعانه مطلقاً، فالعلم في هذين النصين أعم من أن يكون علم الدين وحده، وإنما يدخل فيهما كل علم نافع في الدين أو في الدنيا؛ فإن البنت المسلمة يجب أن تتعلم العلم الذي يؤهلها لأداء واجبها نحو ربها، ونحو مجتمعها)[٤].

فليتأمل الدكتور حسن حنفي التاريخ الذي يتشدق به، وينظر كيف عامل الإسلام المرأة في كل حقبه الزمنية حتى لا يفتري على الإسلام ويصفه يظلم المرأة.

---

(١) أسباب نزول القرآن– أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨ هـ ١٣٨٨ هـ) – ج١ص٢٤٠– مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع – بدون

(٢) الجامع الصحيح المختصر– محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي – تعليق د. مصطفى ديب البغا – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة–باب تعليم النبي ﷺ – ج٦ص٢٦٦٦–حديث رقم: ٦٨٨٠– دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

(٣) صحيح البخاري – تعليق د. مصطفى ديب البغا – كتاب النكاح–باب باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها – ج٥ص٩٥٥–حديث رقم: ٤٧٩٥ – دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م

(٤) المرأة المسلمة، صـ ٨٧، مرجع سابق.

فالإسلام دعا إلى تعلمّ المرأة خاصة في التخصصات التي تكون ألصق بها، ويكون ذلك في إطار من الحشمة،والاحترام، ولا عبرة لكلام غير المتخصصين في ذلك.

فالإسلام رد إلى المرأة اعتبارها الاجتماعي، وجعلها شقائق الرجال، عن عائشة – رضى الله عنها – قالت: (قال رسول الله ﷺ إنما النساء شقائق الرجال)(١)، وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم)(٢).

فاستدلال حنفي ببطاقة الرقم القومي في مصر كعلامة للتمييز ضد المرأة، كلام يجانبه الصواب؛ لأن توضيح فصيلة المواطن إلى ذكرٍ و أنثى أمرٌ معتبر لا تمييز فيه؛ بل هو لتحديد النوع لمعرفة كيفية التعامل معه؛ ويظهر هذا الأمر حتى في الألعاب الرياضة التي يشترط فيها تحديد نوع اللاعب عن طريق اختبارات معينة لمعرفة الرياضي هل هو ذكر أم أنثى، لوجود بعض المتشبهين من الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، ولكثرة التغيرات التي تحدث عن طريق العمليات المختلفة؛ فيتطلب ذلك تمييز الذكر عن الأنثى؛ فهذا أمرٌ لا يمتُّ إلى التمييز بصلة.

وبعد البيان السابق: تظهر خطورة أقوال حسن حنفي بالتاريخانية على الدين في

---

(١) جزء من حديث نصه (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلاَ يَذْكُرُ احْتِلاَماً قَالَ « يَغْتَسِلُ ». وَعَنِ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ وَلاَ يَرَى بَلَلاً قَالَ « لاَ غُسْلَ عَلَيْهِ ». فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ تَرَى ذَلِكَ شَيءٌ قَالَ نَعَمْ « إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ) وشقائق الرجال: نظرائهم وأمثالهم في الخلق والطباع فكأنهن شققن من الرجال – ينظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي – محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي – تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون– أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما– جـ١ صـ١٨٩– دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) صحيح البخاري–كتاب التفسير–سورة الطلاق –ج٤ص١٨٦٦–حديث رقم ٤٦٢٩–مرجع سابق.

جعله ملازما لفترة زمنية محددة؛ وهو ما ينفي عنه صفة الإلزام؛ فيجعل الشرع مجرد علاقة روحية بين العبد وربه؛ وإن محاولة فرض الشعائر والعبادات إنما ينبع من الجهل والتخلف، وعدم الإيمان بتاريخانية الوحي، **يقول حنفي:** " وفي فترة تخلفنا حولناه– الوحي– إلى مجرد عقائد وشعائر، نُكفّر من لم يؤمن بها أو يمارسها"(١)

فحنفي – كبقية أهل الحداثة– ينظر إلى الوحي على أنه تاريخ؛ مما يجعله لا دور له في تعبيد الناس لرب الناس، وهدايتهم إلى صراطه المستقيم، بل مهمته فقط مهمة تربوية محضة اختصّت بفترة زمنية محددة، وتاريخ معين؛ ومن ثمّ لا إلزام بالشعائر، والعبادات، يقول حنفي: " مهمة الوحي تربوية محضة، والغاية منه تربية الإنسانية وليس إعطاء عقائد أو إقامة شعائر أو تشييد مؤسسات، فالوحي وسيلة لا غاية؛ إذا تحققت الغاية أدّت الوسيلة المطلوب منها"(٢).

وهذا التصور الفكري للتاريخانية عند حنفي جعله يزعم أن الوحي لا قداسة فيه ولا إلزام؛ يقول: (ليس القرآن كتاب تحليل وتحريم؛ بل كتاب فكر، وليس الغرض منه تغليف العالم بقوانين وتقييد السلوك الإنساني بقواعد بل مساعدة الطبيعة على الازدهار، والحياة على النماء)(٣) ، وهذا الزعم من حنفي يفرّغ الدين من محتواه، ويجعله علاقة روحية شعورية خالية من أي إلزام أو التزام؛ فيتحول الإسلام إلى مجرد حبر على ورق لا أثر له ولا إلزام؛ بل يتحول إلى ورق من غير حبر.

(١) هموم الفكر والوطن– د. حسن حنفي–جـ١صـ٥٧ مرجع سابق.

(٢) لسنج: تربية الجنس البشري– ترجمة الدكتور حسن حنفى – صـ١٢١– ط١ دار الثقافة الجديدة

(٣) نفس المرجع السابق.

المبحث الثالث
نقد (التاريخانية) في الأخــلاق

مقاييس الأخلاق في الإسلام ثابتة؛ لا تقبل التغيير ولا التبديل، ولا تخضع في دوامها واستمرارها لقانون المنفعة، ولا المصلحة، ولا الغاية، ولا تصلح لوقت وتنتفي عن في الوقت الآخر؛ والقول بالتاريخانية إذن في اعتبار تغير قانون الأخلاق، وصلاحه لفترة دون أخرى كلام عار عن الحقيقة؛ لأن الأخلاق هي الأخلاق في كل وقت وحين.

وبقليل من التأمل نجد أن حسن حنفي يتنكّر لهذه الحقائق، ويتبنّى فكرة "النسبية" في الأخلاق؛ والتي هي من مفرداتها تأثر الأخلاق بالزمن والواقع؛ فما يصلح للماضي قد لا يصلح للمستقبل، وما يصلح لمكان لا يصلح لمكان آخر؛ وهو ما يعرف **بالنسبية الأخلاقية**، والتي تمثّل (مذهبا يقرر أن فكرة الخير والشر تتغير بتغير الزمان والمكان من غير أن يكون هذا التغير مصحوبا بتقدم معين)[1]

فالصدق قد يتحول إلى سذاجة وحماقة، والعفة قد تتحول إلى جمود وتخلف..، وهكذا، وهذا الزعم الفاسد لحنفي في نظرته للأخلاق؛ متيمما بذلك مفهوم "التاريخانية" تجعل الأخلاق ترتبط بزمن وتاريخ معين، لا تتعداه إلى زمن آخر ومكان آخر؛ فلا ثبات لقيمة أو مبدأ، بل تتغير القيم الأخلاقية بتغير الزمان والمكان.

ونظرة حنفي للأخلاق النابعة من مفهوم التاريخانية جعلته ينظر إليها نظرة تختلف عن نظرة الثبت من علماء المسلمين؛ **وتكمن هذه النظرة في النقاط التالية؛**

"١- **مرجعية الأخلاق ذاتية إنسانية بحتة:** فنجده يدعو لتحقيق القيم بمرجعية ذاتية إنسانية بحتة؛ فالمجتمع العلماني المنفتح الحر هو الذي يعيد السلطة للشعب بعد أن سلبت منه لزمن بعيد عن طريق الحكومات الدينية التي تستند للدين في حكمها.

---

(١) المعجم الفلسفي – باب النون جـ٢صـ٤٦٦ مرجع سابق.

٢- **الثورة على الموروثات الشعبية**؛ والمجتمعات التقليدية التي تدعو لتعويق عمل هذه القيم العلمانية في أرض الواقع، وتحول دون ظهور آثارها وثمارها في المجتمع بحجة "المقدس"؛ فالثورة ضرورية على المجتمعات التقليدية التي لا يزال الدين فيها يحتل مكانة مركزية تؤثر على النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. الخ.

٣- **الدعوة إلى القيم بالمفهوم العلماني الغربي**؛ لأن ذلك يضمن الأرضية المناسبة لتوطين ونشر قيم البحث العلمي في بلادنا.

٤- **تقديم قضايا المرأة والديمقراطية:** يرى حنفي أنه يجب أن تحتل قضايا المرأة والديمقراطية الدرجة الأولى من اهتمام المثقفين العرب،؛ لأنها ثمرة من ثمار الحداثة والتنوير والرقى؛ وهى ضرورة للمجتمع العربي لضمان رقيه وتقدمه، وبدونها يكون التخلف والرجعية، ويشترط حنفي لنجاح فاعلية حركات تحرير المرأة؛ القضاء على الرؤية التقليدية التي تقسم العالم إلى خالق ومخلوق، وحاكم ومحكوم، وذكر وأنثى"[١]

وبمناقشة هذه الأفكار نجد أن حنفي قد تأثر فيها بالفكر الماركسي الذي يرى أن الأخلاق لا تعرف مقياسا، ولا ضابطا؛ **يقول الشيخ محمد الغزالي** رَحِمَهُ اللَّهُ : (...ثم يمضى ماركس قائلا: "هل يخفى على ذي بصيرة أن آراء الناس ومداركهم ومشاعرهم كلها تتغير بتغير أحوالهم المادية، وعلاقاتهم الاجتماعية، ونظام معيشتهم؟ نقول[٢]: هذا باطل فإن الإنسان قد يتغير تقديره لبعض الأمور أو إحساسه بها لتفاوت ظروفه النفسية أو الفكرية أو البدنية. أما أن جميع الحقائق تتبع – تصورا وتصديقا – الأحوال الاقتصادية فكلام فارغ فكم من حقائق صلبة لا يغيرها اليسر والعسر، لا الذكاء والغباء؟ ولكن ماركس يمضى في لغوه فيقول في جزم: "وهل من شيء أكثر وضوحا فى تاريخ تطور الأفكار

(١) من العقيدة إلى الثورة- د. حسن حنفي – جـ١- صـ٨٦،٨٧ بتصرف كبير مرجع سابق، تعقيب في الإسلام والحداثة، حسن حنفي، صـ ٣٨٧، بتصرف مرجع سابق.

(٢) القول للشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ

من أن الانتاج الفكري يتغير في نوعه بنسبة تغير الانتاج المادي؟)[1]

وبعد هذا العرض لفكر حنفي نجده تأثّر تأثرا كبيرا بالتاريخانية؛ وهو ما ظهر حول مزاعمه عن الدين، وقيمه، وأخلاقه، مما يستلزم الردّ عليه، و تفنيد شبهه بأمانة في النقل، وعفة في اللسان؛ وهو ما نستعين بالله عليه فيما يلي:

١- إذا تركت القيم والأخلاق للمواءمات الناتجة عن تغير الظروف والأحوال، وتغير التاريخ فإنها سرعان ما تفقد قيمتها، ويتلاشى أثرها؛ لاسيما وأن من خواصها الثبات، والاستمرار، فخضوعها لفكرة التاريخانية تجعل الإنسان يفعل ما يشاء لأن ما يصلح للماضي لا يصلح للحاضر، وهذا ما يتنافى مع صحيح الدين.

٢- إن القول بنسبية القيم والأخلاق، وتطورها حسب الزمان والمكان أمرٌ معارض لحقائق الشرع، وبدهيات العقول؛ لأنه من لوازمه أن يتحول العالم إلى فوضى وعبث؛ فتنتفي معاني الإنسانية وينتهي الأمر إلى دمار، وهلاك.

٣- ثبات الأخلاق يعني أن تدور البشرية حول محور ثابت يحكم سير حركتها وفق مراد الله سبحانه وتعالى؛ وإلا تحولت إلى العبثية والدمار، وهذا أمر ترفضه الشرائع السماوية التي ترشد إلى القيم والمبادىء، والخوف من الله، والعمل ليوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[2].

(١) الإسلام في وجه الزحف الأحمر- الشيخ محمد الغزالي- ص٢٦- دار نهضة مصر-الطبعة الأولي

(٢) سورة المؤمنون: الآية (١١٥)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد أسفرت المعايشة لفكر أهل الحداثة في التاريخانية وعلى رأسهم حسن حنفي عن عدة نتائج:

١- التناقض البيّن في فكر أهل الحداثة:

إن أي فكر لا ينبع من المنابع الصافية يشوبه الكدر، والغلط، والتناقض؛ تصديقا لقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[١]

وظهر ذلك التناقض البيّن في فكر أهل الحداثة من خلال استقراء الأنموذج لهم حسن حنفي حيث كثرت تناقضاته، وتعددت في الأمر الواحد آراؤه بين إثبات ونفي؛ ومردّ ذلك عدم اعتماده على الشرع القويم، والعقل السديد.

مثال ذلك: ما جاء في تناقضاته في إثبات اليقين والصدق، هل تثبت بدلالة الوحي، أم لا؟ فتارة يقول: (إن النقل لا يُعطي إلا افتراضات يمكن التحقق من صدقها في العقل ومن صحتها في الواقع، كما يعطي حدوسًا يمكن البرهنة على صدقها بالعقل وعلى صحتها في التجارب اليومية ويكون المحك في النهاية العقل والواقع، العقل وحده وسيلة التخاطب، والواقع وحده هو القدر المشترك الذي يراه جميع الناس، فالاستدلال العقلي والإحصاء الاستقرائي دعامتا اليقين"[٢].

وتارة يقول: (الوحي يعطي العقل بداية يقينية مطلقة حتى يتجنب الإنسان محاولات الخطأ والصواب إلى ما لا نهاية، ويبقى احتمال الخطأ في الفهم والتطبيق أقل"[٣].

---

(١) سورة النساء: الآية رقم: (٨٢)

(٢) من العقيدة إلى الثورة- جـ١صـ٣٧٣مرجع سابق.

(٣) المرجع نفسه (٤/٦٢،٦٣).

وهذا التناقض يؤكد عدم اعتماد أهل الحداثة –وعلى رأسهم حسن حنفي– علي الوحي الصحيح والعقل السديد، بل يعتمدون على الظنون والأوهام؛ مما أسفر عن ذلك التناقض البيّن.

٢– إخراج النصوص الشرعية من سياقها الصحيح، وتحميلها مالا تحتمل:

يخرج أهل الحداثة النصوص الشرعية من سياقها الصحيح، ويحمّلونها مالا تحتمل لخدمة فكرهم في تعظيم أمر العلمانية، وتكريس فكرة التاريخانية، من ذلك ما زعمه حسن حنفي من أن الدعاء لله هو نوع من العجز النفسي؛ والوعي المزيف حيث يقول: (الابتهال والدعاء والسؤال والشكر كل ذلك ليس دليلا على وجود قوة خارجية يستدعيها الإنسان كي تتدخل في فعله وتعينه على الاتيان به بل مجرد موقف إنساني يدل على انحراف في السلوك، ففي مجتمع مهزوم تكثر مثل هذه الابتهالات والدعاءات لطلب النصر لعجزه عن الاتيان بالنصر بالفعل، وفى خضم هذه الانفعالات الحادة ينشأ فعل جاد ولكنه منحرف وهو الابتهال والدعاء، وفى اللحظة التي يدرك فيها المهزوم خطة عمل وباعثا وغاية يبطل دعاءه وابتهاله، ويحقق ما يريده بفعله الخاص وهو قادر عليه، الابتهال فعل الضعيف العاجز، ونشاط انفعالي حين يعجز عن الفعل، وإغراق في الأدب والتصوف حين يطمس العقل ويزيف الوعي)[١]

ويزعم حنفي أن الدعاء، والذلّ، والاستكانة لرب العالمين تظهر في حالات التخلف، والرجعية، والانحطاط، **فيقول:** (وقد انتشرت الأدعية، والتواشيح، والابتهالات فى عصور التخلف والانحطاط مع الفرق الصوفية، وبعد تشخيص الوحي في محمد، كما تم من قبل تشخيص الوعي الخالص في المؤله)[٢]

بل إن حنفي يذهب إلى أغرب من ذلك حيث يجعل أرقى درجات القرب من الله

(١) من العقيدة إلى الثورة ج٣ ص١٥٩

(٢) المرجع السابق ص١٦٠

نوعا من الشحاذة والسؤال، **فيقول:** (وكثيرا ما يتحول التضرع والابتهال إلى تملق ونفاق وتقرب وإذلال للنفس باسم الدعاء ويكون أقرب إلى الشحاذة أو السؤال؛ الكفان إلى أعلى للاستجداء، والدموع فى العينين للاستعطاف، وحشرجة الصوت وانسداد الأنف من البكاء، وإنما البكاء للنساء!)[١]

فكلام حنفي هذا أنموذج بيّن على فكر أهل الحداثة الذي اخرج من رحم العلمانية، والتاريخانية، والمادية؛ بل خرج من كل فكر لا يتفق مع قواعد الإسلام، ويضرب بآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ عرض الحائط ليصل إلى زعمه الباطل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣- إخراج المصطلحات عن مضمونها للتضليل والتزييف:

يخرج أهل الحداثة المصطلحات عن مضمونها للتضليل والإيهام، من ذلك ما قام به حسن حنفي-كأنموذج لهم- من فرض مفهوم "التاريخانية" على الإسلام؛ لنقض مبدأ صلاحيته وإصلاحه لكل زمان ومكان؛ وجعل الإسلام لفترة زمنية محددة لا يتجاوزها ولا يتعداها، واستخدم أسلوب التضليل العلمي في ذلك؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر حديثه المضلّل عن "أسباب النزول" كدليل على التاريخانية؛ يدفعه إلى ذلك **ولعه الشديد بالغرب؛ دون تمعن، أو تدقيق،** وصدق ابن خلدون رحمه الله عندما قال: (المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب)[٢].

وأما أهم التوصيات فتتمثل فيما يأتى:

١- دراسة منهج الأزهر الشريف في بيان فكر المعتزلة، و ردود العلماء القدامى عليهم؛ حتى لا يقع أحد فيما وقعوا فيه من خطأ؛ وحتى يمكننا الرد على أهل الحداثة والتنوير، والفكر التاريخاني الذين يتخذون فكر المعتزلة أساسا لمنهجهم الفكري.

---

(١) المرجع السابق ص١٦٠

(٢) تاريخ ابن خلدون - ج١ص١٤٧ - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان

٢- دعوة طلاب العلم إلى دراسة مناهج التنويريين، والحداثيين؛ وتكوين آليات علمية منهجية للرد عليهم، وكشف زيفهم، وبيان ضلالهم.

٣- تطبيق آداب الحديث مع المخالفين، والبعد عن سيء الأخلاق؛ طمعا في هدايتهم، وتطبيقا لخلق الإسلام الحنيف في مجادلتهم ومناظراتهم؛ فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا أبجديا:

١- أسباب نزول القرآن- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)- تحقيق كمال بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ

٢- اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة- ترجمة د.حسن حنفي- ط١ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م

٣- الإسلام في وجه الزحف الأحمر- الشيخ محمد الغزالي- دار نهضة مصر- الطبعة الأولي بدون

٤- إعجاز القرآن-أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر دار المعارف مصر-ط١٩٩٧م

٥- الأعلام من الفلاسفة- باروخ سيبنوزا فيلسوف المنطق الجديد-الشيخ كامل محمد محمد عويضة – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

٦- البحر الرائق شرح كنز الدقائق – زين الدين ابن نجيم الحنفي المتوفى ٩٧٠هـ- دار المعرفة- بيروت

٧- بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، د/ علي عبد الوهاب- دار ركابي للنشر والتوزيع- تونس، ط/١، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م – ١٩٩٧م.

٨- التحرير والتنوير- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- دار سحنون للنشر- بدون.

٩- تاريخ ابن خلدون – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان بدون

١٠- التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم – د.حسن حنفى – ط١- المركز العربى للبحث والنشر القاهرة١٩٨٠م

١١- التعريفات - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)- دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
١٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- أبو عمر يوسف بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)- تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكرى - مؤسسة قرطبة بدون.
١٤- التنبيه في الفقه الشافعي - إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي أبو إسحاق (المتوفى ٤٧٦هـ)- تحقيق عماد الدين أحمد حيدر- عالم الكتب - بيروت -١٤٠٣هـ
١٥- الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني- صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (المتوفى: ١٣٣٥هـ)- المكتبة الثقافية - بيروت- بدون.
١٦- (جريدة المصري اليوم - العدد٣٤٢٧- الخميس ٣١ اكتوبر ٢٠١٣م)
١٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط -- مكتبة الحلواني -الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م
١٨- الجامع الصحيح سنن الترمذي - محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت.، ١٤١١هـ
١٩- الجامع الصحيح المختصر- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - تعليق د. مصطفى ديب البغا -دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م
٢٠- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د/ محمد عبد الله دراز- دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، ط/١، سنة ١٩٨٩م.
٢١- الدين والثقافة والسياسة فى الوطن العربي - د. حسن حنفي - دار قباء للطباعة

والنشر ط١ – ١٩٩٨م
٢٢- عجز العقل العلماني-عيد الدويهيس- الكويت- الطبعةالأولى،شوال ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠ م
٢٣- العلمانية بين الغرب والإسلام، د/ محمد عمارة، – دار الوفاء، ط/١، سنة ١٤١٧هـ.
٢٤- العلمانية فى مصر وأشهر معاركها، د/ إلهام محمد شاهين- دار هارموني ط/١، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٢٥- الفرق- حسن السيد متولي- دار الطباعة المحمدية،، ط/١، سنة ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م.
٢٦- القاموس المحيط- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – مؤسسة الرسالة- بيروت- بدون.
٢٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي – بيروت-لبنان
٢٨- لباب النقول في أسباب النزول – الإمام جلال الدين السيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان بدون.
٢٩- لسنج: تربية الجنس البشري- ترجمة الدكتور حسن حنفى – ط١ دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٧م
٣٠- لسان العرب لابن منظور – تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون – دار المعارف- القاهرة بدون
٣١- المبدع شرح المقنع- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ) – دار عالم الكتب، الرياض- ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م
٣٢- محمد ﷺ المثل الكامل، تأليف: أحمد جاد المولى، تحقيق: عبد الرحيم مارديني-

مكتبة دار المحبة، ط/١، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م
٣٣- المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، د/ علي عبد الحليم محمود، - دار الوفاء، ط/٤، سنة ١٤٢٢هـ
٣٤- مستدرك الحاكم على الصحيحين- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى بدون
٣٥- المسند للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني بتحقيق الأرنؤوط - مؤسسة قرطبة - القاهرة - بدون.
٣٦- معجم الفلاسفة- جورج طرابيشى- دار الطليعة بيروت ط٣ سنة٢٠٠٦م
٣٧- المعجم الفلسفى د.جميل صليبا -دار الكتاب اللبنانى ط٢/١٩٩٨م
٣٨- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب٠ مجدي وهبة وكامل المهندس - مكتبة لبنان ط١٩٨٤م
٣٩- المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار- تحقيق: مجمع اللغة العربية- دار الدعوة بدون.
٤٠- المفيد في الفقه الإسلامي- د. عبدالرحمن العدوى - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٥م
٤١- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة - شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي - تحقيق محمد عثمان الخشت- دار الكتاب العربي بيروت ط١/ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م
٤٢- من العقيدة إلى الثورة- د.حسن حنفى - مكتبة مدبولى - بدون
٤٣- مناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الثالثة بدون.

٤٤- الموسوعة الغزالية فى الجوانب الفلسفية – نيشته فيلسوف القوة-ا.د.محمد حسينى الغزالى- دار الكتب العامة الزقازيق- ط١:١٤٢٢هـ٢٠٠٨م
٤٥- الموضوعات – الحسن بن محمد الصنعاني-دار المأمون للتراث بدون
٤٦- هموم الفكر والوطن التراث والعصر والحداثة – د. حسن حنفى- دار قباء للطباعة والنشر ط١ – ٢٠٠٣م

فهرس المحتويات

ملخص البحث ٢٤٤
المقدمـــة ٢٤٨
التمهـــيد: التعريف بعنوان البحث ٢٥٦
الفصل الأول: عرض وتحليل التاريخانية عند (حسن حنفي) ٢٦٦
المبحث الأول: منابع وروافد "التاريخانية" عند (حسن حنفي) ٢٦٦
المطلب الأول: الفكر السبينوزي ٢٦٧
المطلب الثاني: الفكر الماركسي ٢٦٩
المبحث الثاني: آثار القول "بالتاريخانية" عند (حسن حنفي) ٢٧٠
المطلب الأول: زعمه بأن النصّ جاء لمرحلة تاريخية معينة لا يتجاوزها ٢٧٠
المطلب الثاني: زعمه بأن الوحي تابع للواقع ٢٧٣
المطلب الثالث: إنكار خيرية القرون الأولى لانقضاء تاريخها ٢٧٤
المطلب الرابع: زعمه بأن اجتهاد الأئمة الأربعة جاء لفترة تاريخية معينة ٢٧٦
الفصل الثاني: نقد (التاريخانية) عند (حسن حنفي) وبيان خطرها على الدين ٢٧٩
المبحث الأول: نقد "التاريخانية" في العقـيدة ٢٨٠
المبحث الثاني: نقد "التاريخانية" في الشريعة ٢٨٤
المبحث الثالث: نقد "التاريخانية" في الأخلاق ٢٩١
الخـــاتمة ٢٩٤
المصادر والمراجع ٢٩٨
فهرس المحتـــويات ٣٠٣